مباحث

حول نحو النص

اللغة العربية

أ.د. عبدالعظيم فتحي خليل

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بالقاهرة

مباحث

حول

نحو النص

تأليف

أ . د / عبد العظيم فتحي خليل الشاعر

أستاذ متفرغ بقسم اللغويات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي تعهد اللغة العربية بالتنمية والعناية والحفظ والرعاية حتى صارت أفصح اللغات وأرقاها وأكملها وأعلاها، وتأهلت لنزول القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء والرسل وإمام الفصحاء والبلغاء، ورضي الله عن آله وعترته النجباء وصحبه الأصفياء الأوفياء ما دامت الأرض والسماء.

وبعد....

فقد سمعنا من أمد ليس بالبعيد عن نحو جديد يهتم به طائفة من علماء العربية في مصر وغيرها من الأقطار، يسمى:(نحو النص)، وسُجِّلت في هذا النحو الجديد دراسات عليا ورسائل للماجستير والدكتوراه، وكنا وما زلنا هنا في كلية اللغة العربية مشغولين بتدريس نحونا العربي الموروث عن الخليل وسيبويه وغيرهما من أعلام النحويين في شتى العصور، والنفوس تواقة إلى معرفة الجديد، وبخاصة ما يقع في دائرة اهتماماتها العلمية، وهكذا يثور التساؤل: ما هذا النحو الجديد؟ وما الذي يختلف فيه عن دراساتنا النحوية المعروفة؟ وهل يستحق العناية والاهتمام؟ وهل يعود على الدراسات النحوية بأثر مفيد وتطور مطلوب؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها سطرت هذا البحث المتواضع، وجعلت عنوانه: (مباحث حول نحو النص)، وأردت به التعرف على هذا النحو الجديد، وتبين صفاته وخصائصه، ومدى حاجة الدارسين إليه، وقامت خطته على ستة مباحث، وهي:

أولاً: التعريف بنحو النص.

ثانياً: مقارنة بين نحو النص ونحو الجملة.

ثالثاً: ملامح لنحو النص في تراثنا العربي.

رابعاً: من مظاهر نحو النص في تراثنا النحوي.

خامساً: نظرات في تطبيق نحو النص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سادساً: حاجة الدارسين إلى نحو النص.

وفي المبحث الأول- وهو التعريف بنحو النص- بدا لي أن معناه اللغوي هو قصد الاستقصاء؛ لأن النحو في اللغة يطلق على معان منها القصد، والنص يطلق على معان منها استقصاء المسألة عن الشيء، وأن معناه الاصطلاحي: المقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب المطبقة عل تتابع متماسك من الجمل؛ لأن النحو في الاصطلاح هو المقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، والنص عند جمهور المشتغلين بنحو النص يطلق على تتابع متماسك من الجمل ، وهذا هو ما يبدو لي في التعريف الاصطلاحي لنحو النص؛ لأن المشتغلين به اختلفوا في تعريفه وعرفوه بتعريفات كثيرة، وقد ترجح لدى بعض الدارسين تعريف من يقول: هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها ، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ، ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه.

وبالتأمل في هذا التعريف نلحظ ثلاثة أمور:

أولها: أن هذا النحو الجديد يستعين بنظرات علماء البلاغة والأدب والعروض والنقد الأدبي في تناوله للنصوص.

ثانيها: أن هذا العلم الجديد لا يستعين بقواعد النحو المتعارفة إلا بالقدر الذي يساعد على تحليل النص وبيان ما فيه من ترابط وانسجام .

ثالثها: أن علماء نحو النص بعد بحثهم في سمات النصوص وأنواعها وتحليلها يتجهون إلى وضع نحو خاص لها، وتفسير ذلك أن هذا النحو ناشئ عن اتجاه لغوي غربي حديث ينظر إلى النص نظرة كلية فيعنى بوصف بنيته ويحللها، ويبين العلاقات بين أجزائها ، ولا يهتم كما في نحونا العربي بالسلامة من اللحن ، وما تستحقه الألفاظ من إعراب وبناء بل إنه قد يتجاوز عما يقع في النص من مخالفة للقاعدة دون ضرورة ، ويعد ذلك ضربا من التميز والتجديد عند قائل النص، ولا عجب في ذلك فإن النحو عند الغربيين يختلف في منطلقاته ونظراته عن النحو عند العرب.

ويذكر علماء نحو النص سبقه معايير لابد من توافرها في النص وبدونها لا يستحق أن يكون موضعا للدراسة ، وهذه المعايير هي:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١- السبك: ويقصد به الترابط اللفظي بأجزاء النص بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق.

٢- الحبك: ويقصد به التلاحم والتماسك المعنوي بين أجزاء النص.

٣- القصد: أن يكون النص مقصودا إلي إنشائه لغرض معين، فلا شأن لنحو النص بما كان غير مقصود من النصوص ككلام الناسي والسكران .

٤- القبول : ويراد به أن يكون النص علي صورة مقبولة للسامع ،فلا شأن لنحو النص بما يخالف النظام المقبول في عرف الناطقين ،ولا بما فيه لبس يفهم منه خلاف المراد

٥- رعاية الموقف : ويراد به أن يكون النص موافقا للموقف والمقام الذي قيل فيه، فإن لم يوافق المقام الذي قيل فيه لم يستحق أن يكون موضعا للدراسة.

٦- الإعلامية : ويراد به أن يكون النص ذا مضمون يراد الإعلام به ويصلح للإعلام به ، فلا شأن لنحو النص بالعبارات المبهمة ذات الألفاظ المجهولة المعنى.

٧- التناص : ويراد به أن يكون النص مرتبطا بنص آخر من جهة كونهما يشتركان في موضوع واحد ، أو كون التالي تلخيصا للمتقدم أو شرحا له، أو توضيحا لإبهامه ، أو تفصيلاً لإجماله، أو جوابًا عن سؤاله.

وفي المبحث الثاني الذي عنوانه: "مقارنة بين نحو النص ونحو الجملة" بينت أن أصحاب نحو النص يسمون النحو المتعارف منذ القدم في لغتنا العربية نحو الجملة ، ويقررون أن النحويين العرب عنوا بدراسة الجملة من الناحية الوصفية فصاغوا قواعدها واستقصوا أنماطها ، ولم يتجاوزا حدود الجملة في دراساتهم وتحليلاتهم ؛ لأنهم عدوها أكبر والوحدات اللغوية التي تخضع لدراسة العالم النحوي أو البلاغي، ويقررون أن نحو الجملة لا يتفق مع نحو النص إلا في معيارين من المعايير السبعة المذكورة ، وهما: معيار السبك، ومعيار الحبك، فالأول لتحقيق الترابط اللفظي بين أجزاء الجملة ، والثاني لتحقيق الترابط المعنوي بينها .

ويقرر باحثون في نحو النص أن نحو الجملة يتسم بأربع صفات ينأى عنها نحو النص، وهي:

١- صفة الاطراد بمعنى أن القاعدة في نحو الجملة حكم على اللغة، وكل ما خالف القاعدة يوصف بالشذوذ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونحو النص لا يلتزم بالاطراد في القاعدة بل يجيز لقائل النص مخالفة القاعدة لغير ضرورة إذا كان له غرض من تلك المخالفة .

٢- صفة المعيارية: فالقاعدة في نحو الجملة تكون معياراً للصواب والخطأ منذ استنباطها وإقرارها ، ونحو النص لا يلتزم بذلك في القواعد النحوية ؛ لأنها ليست المعيار الوحيد في الحكم على النص.

٣-صفة الإطلاق: بمعنى أن القاعدة في نحو الجملة تطبق على ما قيل قبلها وعلى ما يقال بعدها، فهي حكم على الكلام كله، ونحو النص لا يلتزم بذلك فلكل نص ما يلائمه من القواعد ، وقد يحتكم إلى قاعدة ينشئها بعد اكتمال النص .

٤-صفة الاقتصار: بمعنى أن القاعدة في نحو الجملة تقتصر على الجملة الواحدة ولا تتخطاها إلا عند الإضراب أو الاستدراك أو العطف أو ما يشبه ذلك، ونحو النص يتجاوز الجملة إلى أجزاء النص كله مهما كان طوله ، ومهما كان عدد الجمل التي يتكون منها .

ويقرر هؤلاء أن التشابه بين نحو الجملة ونحو النص يكمن في أمرين :

أولهما: أن كليهما يهتم ببيان العلاقة النحوية والدلالية بين الأجزاء مع الاقتصارعلى الجملة أو تجاوزها.

وثانيهما : أن كليهما يعنى بالوسائل التي تحقق الترابط والتواصل بين الأجزاء كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغير ذلك.

وبالتأمل في أبحاثهم ندرك أن نحو النص يدخل في جملة وظائفه كثيرًا من الموضوعات التي يختص بها علم البلاغة ، مثل: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكمال الاتصال والانقطاع، والإيجاز والإطناب والمساواة وغيرها، كما يدخل فيها أمورا يعنى بها نقاد الشعر والأدب كالحديث عن الوحدة العضوية، والوحدة الموضوعية ، والعلاقة بين الشكل والمضمون وغير ذلك .

ويقرر هؤلاء أيضا أن العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص علاقة تكامل ، وأن أحدهما لا يستغني عن الآخر ، وأن التراث النحوي المتعلق بنحو الجملة هو أساس ومنبع لكثير من آثار نحو النص وتصوراته ومفاهيمه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويذكرون أن فكرة النصية ليست غائبة عن تراثنا النحوي ، ويستشهدون لذلك بقول ابن هشام:"القرآن كله كالسورة الواحدة؛ ولذلك يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى"، وهذا تعبير عملي عن فكرة الوحدة النصية ، وخروج من دائرة الجملة إلى دائرة أرحب هي دائرة النص.

وفي المبحث الثالث الذي عنوانه: "ملامح لنحو النص في تراثنا النحوي" نقلت ما ذكره الدكتور عبد السلام حامد في بحثه بعنوان :" علاقة النحو العربي بنحو النص " ، من أن النحو العربي برغم تصنيفه على أنه نحو جملة ولا يدخل في إطار نحو النص توجد فيه لمحات ونظرات نصية لدى بعض النحاة ، واستشهاده على ذلك بأمور نقلها عن ابن جني وابن هشام، كما نقلت ما ذكره الدكتور عبد المهدي هاشم في بحثه بعنوان :" نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي" من أنه ثبت له بعد القراءة والتحليل في كتب النحو أن النحويين العرب قد تناولوا كثيرا من الروابط التركيبية بحثا وتحليلا ، فكان حديثهم في كثير من الأحيان يتجاوز حدود الجملة الواحدة ليصل إلى جملتين، كما كان يبحث في اكتمال التركيب اعتمادا على المقام أو السياق، وهذا كله يدخل في نحو النص صراحة.

وفي المبحث الرابع الذي عنوانه: " من مظاهر نحو النص في تراثنا النحوي" بينت أن علماء نحو النص يتحدثون عن مظاهر له في تراثنا النحوي، من هذه المظاهر أن فكرة الربط النحوي كانت تسيطر على عقول النحويين ، وأن ذلك كان على مستوى المفردات داخل الجملة، وعلى مستوى يتجاوز الجملة الواحدة ، وقد بين الأستاذ عبد المهدي الجراح نماذج لذلك تتمثل في: أسلوب العطف، واشتراط الربط في الجمل الواقعة خبرا أو صفة أو حالا، وفي جملة جواب الشرط، وجملة الصلة، واقتران جملتي الشرط والجواب، وتعدد الجمل في مواقع الخبر والنعت والحال،وقد بينت ذلك ونقلته عنه بالتفصيل .

وفي المبحث الخامس: "نظرات في تطبيق نحو النص" اتجهت إلى هذا التطبيق في رسالة لباحث معاصر فوجدته يتناول أمرين، هما: السبك والحبك، وهما القاسم المشترك بين نحو الجملة ونحو النص.

وفي الحديث عن السبك يذكر الباحث أن المراد به جملة من العناصر النحوية تحقق الربط بين العناصر البنائية في ظاهر النص، وتسمى : وسائل السبك، وتنقسم إلى : وسائل سبك نحوية، ووسائل سبك معجمية، ووسائل سبك صوتية، وفي الوسائل النحوية وجدته يتحدث عن الإحالة وهي عود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضمير أو ما يقوم مقامه من إشارة أو أداة تعريف ، أو إعادة لفظ وغير ذلك مما يربط الجمل بعضها ببعض، ثم يتحدث عن الأدوات التي تربط أجزاء النص كحروف العطف وأدوات الشرط ، ثم يتحدث عن التضام ، والمراد به الطرق الممكنة في رصف الجملة بسبب التقديم والتأخير ، والفصل أو الوصل ، كما يراد به التلازم بين عنصرين أو التنافي بينهما ، ثم يتحدث عن التحديد وهو تعبير عن التعريف أو التنكير.

وفي الوسائل المعجمية يتحدث عن أشياء أهمها التكرار من جهة أنه وسيلة للربط لما فيه من تأكيد المعنى.

وفي الوسائل الصوتية تحدث عن أمور تتعلق بالشعر كالتدوير والتقفية لكون الرسالة تطبيقا على ديوان شعري .

وفي الحديث عن الحبك ذكر وظيفته وهي الربط المعنوي بين عناصر النص ثم ذكر أهميته ووسائله وقسم وسائله إلى : طرفية تشمل العنوان والابتداء والانتهاء، وداخلية: تشمل التفسير والتعليل والتذييل وتفصيل المجمل، وما في النص من تقابل ، وما فيه من حوار.

وفي المبحث السادس وعنوانه: "حاجة الدارسين إلى نحو النص" بينت أن وظيفة النحوي هي ضبط ألسنة المتكلمين وأقلام الكاتبين بما نطقت به العرب في عصور الفصاحة، وتعريفهم بالضبط الصحيح للقرآن والحديث وغيرهما من النصوص العربية الفصيحة؛ لأن النحو عني منذ نشأته بصيانة اللسان من الخطأ والزلل في ضبط أواخر الكلمات ، ووضع في الأساس لمنع تسرب اللحن إلى ألسنة الناطقين ، ولبيان النطق الصحيح الفصيح في مجالي الإعراب والبناء ، وبينت أن نحو النص ليس نابعا من قواعد النحو وأصوله العربية ، وإنما هو وافد مترجم عن لغات أخرى لأقوام تختلف نظرتهم إلى النحو عن نظراتنا ، ثم بينت أن نحو النص يمكن أن يدخل في دائرة علوم البلاغة والنقد الأدبي التي تهتم بدراسة النص الكلي ، وقد يدخل في دائرة علم التفسير لبيان الترابط والتكامل بين أجزاء السورة الواحدة وسور القرآن جميعها .

هذا وبالله التوفيق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

التعريف بنحو النص

أ_ المعنى اللغوي:

يشتمل هذا العلم المركب الإضافي على كلمتين: نحو، ونص.

و"النحو" : مصدر نحا ينحو نحوًا، ويستعمل في معان ، منها: القصد إلى الشيء، يقال: نحا الشيء: قصده، ونحا الولد نحو والده: قصد قصده، وفعل فعله، ومنها: الميل إلى الشيء، يقال: نحا إليه: مال إليه، ومنها : صرف شيء عن شيء، يقال: نحاه عنه: صرفه.

و"النصّ": مصدر نص ينص نصًا، ويستعمل في معان ، منها: رفع القول، وإسناده إلى صاحبه، فيقال: نص القولَ: رفعه وأسنده إلى صاحبه، ومنها: الرفع والإظهار، يقال: نص الشيء: رفعه وأظهره، ونص عنقه: نصبه ورفعه، ويحتمل أن يكون منه : نص المتاع: جعل بعضه فوق بعض لما فيه من الرفع والإظهار، ومنها: استقصاء المسألة لاستخراج ما عند المخاطب، فيقال: نص فلانًا، أي: استقصى مسألته عن الشيء حتى استخرج ما عنده.(١)

ويبدو لي أن الموافق لنحو النص الاصطلاحي من هذه المعاني هو القصد في النحو واستقصاء المسألة في النص؛ وذلك لما في نحو النص من القصد إلى الاستقصاء في النص، واستخراج ما خفي على السامع أو القارئ منه.

ب_المعنى الاصطلاحي:

يعرف "النحو" في الاصطلاح بأنه:"العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها"(٢)، وهذا يصلح تعريفًا لعلم العربية إذا أريد به الاختصاص بعلمي النحو الصرف ، فإذا أطلق علم العربية من التقييد شمل اثني عشر علمًا، هي: اللغة،

---

(١)انظر: مادة (ن ص ص) في معجم الرائد، والمعجم الوسيط.

(٢)شرح الأشموني للألفية ١/١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان، والعروض، والقافية، وقرض الشعر، والخط، وإنشاء الخطب، والرسائل، والمحاضرات ، ومنه التواريخ. (١)

وكلمة "النص" تستخدم في علم اللغويات للإشارة إلى أي فكرة مكتوبة أو منطوقة بشرط أن تكون وحدة متكاملة ، وقد وردت للنص تعريفات كثيرة تنطلق في غالبها من أنه تكوين من الجمل تنشا بينها علاقات تماسك. (٢)

ومن ذلك ما قيل في تعريفه من أنه: تتابع متماسك من الجمل، وذلك يعني أن النص وحدة بنائه هي الجملة، وأنه لا بد من تعددها، وينبغي أن يكون مترابطًا متماسكًا من جهة مضمونه. (٣)

فالجملة المختصرة، والأبنية المكونة من جملة واحدة لا تدخل في دائرة النص، ولا تقوم بوظيفته بالمعنى التواصلي ؛ لأن العلوم النصية تهتم بالنصوص التي تظهر فيها درجة أعلى من التعقيد سواء من الناحية النحوية أو من الناحية الموضوعية، فالنصوص التي تتحقق بوصفها هي التي تشكل تتابعات من جمل تكون هي مجال موضوع التحليل اللغوي.(٤)

وقد قيل في تعريف النص، هو:"الصيغة المنطوقة أو المكتوبة التي صدرت عن المتكلم أو المؤلف في موقف ما قاصدًا دلالة ما، وهذه الصيغة قد تكون لفظة أو إشارة أو جملة أو متتاليات من الجمل المترابطة".(٥)

وهذا التعريف لا يناسب نحو النص بمعناه الاصطلاحي كما سيتبين ذلك من بيان حقيقته ووظيفته .

---

(١)انظر: شرح الأشموني للألفية ١٦/١، وحاشية الصبان على الأشموني ١٦/١.

(٢)انظر: مدخل إلى علم لغة النص صـ٢١.

(٣)انظر: التحليل اللغوي للنص صـ٢١.

(٤)المصدرالسابق صـ٢٨.

(٥)التماسك النصي في الحديث الشريف لعبد العزيز فتح الله (بحث منشور على الإنترنت).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اختلف العلماء في تحديد ماهية نحو النص وتقديم تعريف واضح له غير أن المستخلص من كلامهم بشكل عام أنه ذلك الفرع من النحو الذي يصف وسائل التعبير المسئولة عن عملية تشكيل النص.(١)

ومما قيل في تعريفه: هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة.(٢)

وقيل أيضًا: هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه.(٣)

ويصف باحث معاصر(٤)هذا التعريف بأنه أوفى التعريفات وأوضحها وأدقها لأربعة أمور:

-لأنه بين مهمة ومجال عمل نحو النص، وهي: "البحث في سمات النصوص وأنواعها".

-وأشار على وجه الخصوص إلى ملمحين رئيسين ومعيارين مهمين لنحو النص، هما: السبك والحبك في قوله:"وصور الترابط والانسجام داخلها"، حيث إن الترابط للألفاظ والصيغ، والانسجام للمفاهيم والمعاني.

-وبين الأهداف القريبة لنحو النص ، وهي: "تحليل النصوص في أدق صورة"، والمهام العظمى له ، وهي: " فهم النصوص وتصنيفها، ووضع نحو خاص لها".

- وأشار إلى عملية التواصل بين المبدع والمتلقي وهي القضية ذات الأهمية الكبرى لدى النقاد.

---

(١)شعر محمد مهدي الجواهري دراسة نحوية نصية صـ٤٦.

(٢)ينظر: عناصر السبك بين القدماء والمحدثين٢/٥٦٣.

(٣)علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(نماذج من السنة النبوية)صـ٥.

(٤)هو الدكتور/ صالح عبد العظيم الشاعر في كتابه:(شعر محمد مهدي الجواهري دراسة نحوية نصية) صـ٤٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

معايير نحو النص

إن "نحو النص" اتجاه لغوي غربي حديث يعنى بوصف البنية الكلية للنص وتحليلها وبيان علاقاتها من دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النحو العادي مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد والتتابع اللغوية والنصية التي تحقق تماسك النص وتناسقه.(١)

وهذا الاتجاه يضع سبعة معايير تكفل للنص صحة كونه نصًا، وهذه المعايير هي(٢):

١-السبك أو التماسك أو الربط النحوي، ويقصد به تتابع البناء الظاهري للنص عن طريق استخدام وسائل الربط النحوية والقاعدية المختلفة، وبعبارة أخرى هو: ارتباط وحدات النص من خلال مفاهيم نحوية بحيث تبدو عناصر بناء النص على صورة وقائع متتابعة يؤدي السابق منها إلى اللاحق، ويتحقق لها الربط الرصفيأو النظمي، وهذا المعيار شكلي صناعي يدرس المباني للتوصل إلى المعاني.

٢-الحبك أو التناسق، ويقصد به التتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص ، وقد يطلق عليه : الالتحام أو التماسك الدلالي، وهذا المعيار ألصق بجانب الربط المعنوي، وهو العنصر الأهم في تشكيل المعنى بحيث يشكل مع معيار السبك وحدة ثنائية الوسائل لربط اللفظ بالمعنى، وهو معيار ذوقي معرفي يوضح جماليات النص وأدبياته.

٣- القصد أو المقصدية ، وهو موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصًا مسبوكًا محبوكًا موضوعًا للتوصل إلى غاية بعينها، وبناء على ذلك لا يكون من قبيل النص لغو الكلام وحشوه وكلام المكره والناسي والمخطئ والسكران.

٤- القبول أو المقبولية، وهي صفة تعني أن النص يمثل صورة مقبولة من صور اللغة بين أجزائها تماسك والتحام وهي محددة الدلالة ، وهذه صفة يضعها نحو النص في مقابل مطابقة القاعدة، وتعني أنه لا يقبل _مثلاً_التردد في الأوجه الإعرابية المختلفة في الموضع الواحد ، ولكن يعمل على تسخير كل صفاته لاتخاذ قرار يؤدي إلى تحديد المعنى، ومثال ذلك: أنه لا يقبل التردد في أوجه الإعراب الناتج عن

---

(١)انظر(علم لغة النص_المفاهيم والاتجاهات) للدكتور /سعيد بحيري صـ٥٢.

(٢)ينظر: علاقة النحو العربي بنحو النص للأستاذ الدكتور/عبد السلام حامد، وشعر محمد مهدي الجواهري صـ٤٨، ٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن المصدر من الممكن أن تكون إضافته إلى الفاعل أو المفعول كما في : "زيارة الأصدقاء تسعد النفس"، أو التردد الناتج عن أن الصفة بعد المتضايفين صالحة لكل منهما كما في : "عجبت لمعلمة اللغة العربية"، فهذا المعيار يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.

٥- رعاية الموقف أو الموقفية أو المقامية، وهذا المعيار هو مجموع العوامل التي تجعل نصًا ما ذا ارتباط وثيق بالموقف الاتصالي ، فلا يوجد نص دون ارتباط بالموقف ؛ لأن معنى النص واستعماله واستقباله تتحدد كلها من خلال الموقف ، فهو يطلق على العوامل التي تجعل النص مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ومثال هذا للتطبيق على القرآن الكريم توجيه قوله تعالى:﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾(سورة الأحزاب ، من الآية ٤٨)،فبمراعاة ما نعرفه من السيرة نحكم على اسم المصدر فيه بأنه مضاف إلى الفاعل لا إلى المفعول؛ إذ إن المعروف أن النبي ﷺ هو الذي كان يؤذى ، وكذلك توجيه قوله تعالى:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾(يس ، من الآية ٦٩) يوجه على أن "ما" فيه نافية وليست موصلة كما يسمح بذلك احتمال الكلام في (ما ينبغي له).

٦- الإعلامية أو الإبلاغية، وتتعلق بإمكانية توقع المعلومات الواردة في النص أو عدم توقعها على سبيل الجدة ، ومعناها أن يكون للنص مضمون يريد منشئ النص إبلاغه للمتلقي فليس من قبيل النص قول المجنون :

محكوكة العينين معطاء القفا كأنما قدت على متن الصفا
تمشي على متن شراك أعجفا كأنما تنشر فيه مصحفا

إذ لا مضمون للبيتين، وكذلك كل كلام هرائي لا معنى له، ومثل هذا ربما لا يكون لنحو الجملة اعتراض عليه؛ لأن كل جملة استوفت أركانها ومكملاتها وحسن ترتيبها بحيث يجوز أن تحلل وتعرب، لكن نحو النص لا يقبل مثل هذا إلا بعد طول تأمل وتحليل.

٧- التناص وهو علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض كما تقوم بين النص والنص الآخر كعلاقة الجواب بالسؤال، وعلاقة المتن بالشرح ، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص ، وعلاقة الغامض بما يوضحه والمحتمل المعنى بما يحدد معناه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأهم هذه المعايير معيارا السبك والحبك ، فهما يتصلان بالنص في ذاته ، ويعملان في تآلف وتآزر حميمين ، ويتكاملان وفق نظرية اللفظ والمعنى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

مقارنة بين نحو النص ونحو الجملة لدى المحدثين

يذهب المحدثون إلى تسمية ما ظهر من النحو في التراث العربي القديم بـ(نحو الجملة) ويقررون أن النحويين منذ البداية حملوا على عاتقهم مهمة دراسة الجملة من الناحية الوضعية فصاغوا قواعدها واستقصوا أنماطها ولكنهم لم يتجاوزوا حدود الجمل في دراساتهم وتحليلاتهم ؛ لأنهم عدوا الجملة أكبر الوحدات اللغوية التي ستخضع لدراسة العالم النحوي أو البلاغي.(١)

ويعرف أحدُ الدارسين لنحو النص الجملةَ: بأنها عبارة عن فكرة تامة، أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة.(٢)

وللعلماء تعريفات أخرى للجملة ، منها: قول الأستاذ عباس حسن: "الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل"(٣) ، وقول آخر : "الجملة قول مؤلف من مسند ومسند إليه"(٤)، وقول ثالث: "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جاء في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع".(٥)

ويرى الدكتور فتحي الدجني أنه ينبغي تعريف الجملة بأنها:"قول مفيد يحسن السكوت عليه ما عدا جملة الشرط وجوابه والصلة"(٦)، وإنما استثنى ذلك من التعريف ؛ لأن هذه الجمل لا يفيد كل منها معنى يحسن السكوت عليه، ويرى السيوطي تبعًا لشيخه الكافيجي أن الجملة ترادف الكلام ، وأنها القول المركب الذي يفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ثم يقول: وأما إطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطًا أو

---

(١)نقل من الموسوعة الحرة بالإنترنت.

(٢)نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي لأحمد عفيفي صـ١٧(مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م).

(٣)النحو الوافي ١/١٥.

(٤)المعجم في النحو والصرف لزين العابدين التونسي صـ٩٢.

(٥)في النحو العربي نقد وتوجيه صـ٣٢.

(٦)الجملة النحوية نشأة وتطورًا وإعرابًا صـ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جوابًا أو صلة فإطلاق مجازي؛ لأن كلاً منها كان جملة قبل ذلك فأطلقت الجملة عليه باعتبار ما كان كإطلاق اليتامى على البالغين ؛ لأنهم كانوا كذلك.(١)

وقد تعرض كثيرون من المحدثين للمقارنة بين نحو النص ونحو الجملة، ومن أوضح ما كتب في ذلك ما ورد في كتابةالدكتور/ عبد السلام حامد في بحثه "علاقة النحو العربي بنحو النص" حيث يستهل حديثه بقوله: " إذا قارنا بين النحو العربي ونحو النص نجد أنه _يعني النحو العربي _نحو جملة أو من لسانيات الجملة ، ثم ينقل عن الدكتور تمام حسان الصفات التي يتسم بها نحو الجملة، وهي:

١- الاطراد : ومعناه أن القاعدة حكم على اللغة الفصيحة ، وعلى رغم الاعتراف بالفصاحة للشذوذ يظل الشاذ شاذًا.

٢- المعيارية : وتعني أن القاعدة سابقة على النص ، وأنها معيار للصواب والخطأ ينبغي أن يراعى عند إرادة القول .

٣- الإطلاق، ومعناه أن القاعدة النحوية صادقة على ما قيل من قبل ، وما سيقال من بعد ، فهي الحكم الذي يرد إليه الكلام كله.

٤- الاقتصار في بحث العلاقات على حدود الجملة الواحدة فلا يتخطاها إلا عند الإضراب أو الاستدراك أو العطف أو ما يشبه ذلك.

ويقول بعد ذلك : " ونحو النص ينأى عن هذه الصفات الأربع كلها.

فهو فيما يتعلق بالاطراد يعترف بالمؤشرات الأسلوبية ، وهي تصرفات خاصة يلجأ إليها منشئ النص ليميزه عن غيره أو ليثير بها انتباه المتلقي.

وهو أبعد ما يكون عن المعيارية والإطلاق ؛ لأنه نحو تطبيقي لا يأتي دوره إلا بعد أن ينشأ النص ويكتمل.

وكذلك يتجاوز نحو النص العلاقات داخل حدود الجملة الواحدة إلى أجزاء النص كله أيًا كان طوله محللاً إياها ومتتبعًا لها".

---

(١)انظر: همع الهوامع ١٢/١، ١٣، مطبعة السعادة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يذكر أن المعايير السبعة التي وضعها نحو النص ، والتي تكفل للنص صحة كونه نصًا منها خمسة تخص نحو النص وحده ، ولا تعنى نحو الجملة في شيء، وهي: القصد والقبول ورعاية الموقف والإعلامية والتناص، والمعياران الباقيان يتفق فيهما نحو النص ونحو الجملة، وهما: معيار السبك أو التضام أو الربط النحوي، وهي علاقة لفظية تشمل الافتقار والاختصاص والتلازم والمطابقة وعود الضمير وما شابه هذا.

ومعيار الحبك أو الاتساق ، وهو علاقة في المعنى بين المتضامين تجعل أحدهما غير ناب في الفهم عن الآخر، فلا وجه لجملة فعلية مثل: "فهم الحجر"، ولا لجملة اسمية مثل: "السماء تحتنا" فذلك غير مقبول في الظروف العادية لاستعمال اللغة، وقد يكون مقبولاً في المواقف غير المعتادة كالسخرية والمجاز .(١)

وهناك تشابه بين نحو الجملة ونحو النص من زاويتين:

الأولى: أن نحو الجملة يهتم ببيان العلاقة النحوية والدلالية بين كلمات الجملة، وكذلك نحو النص يهتم ببيان العلاقة النحوية والدلالية بين جمل النص فكلاهما قائم على أساس تبين العلاقة بين العناصر اللغوية.

الثانية : أن نحو النص يستخدم كثيرًا من المسلمات التي انتهى إليها نحو الجملة فنجد فيه حديثًا عن أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة وغيرها من الوسائل التي تساعد على تحقيق الترابط والتواصل بين الجمل ، فإن أهم شيء في نحو النص هو الحديث عن الروابط التي تربط الجمل بعضها ببعض.(٢)

لكن نحو الجملة في بيانه للعلاقة النحوية والدلالية بين العناصر اللغوية في الجملة لا يبحث عن البلاغة وأثرها في السامع بينما نحو النص جل عمله هو البحث عن تلك الأمور، كما أن نحو

---

(١)نحو الجملة ونحو النص محاضرة للدكتور/ تمام حسان ، وعلم لغة النص للدكتور / سعيد بحيري صـ١٣٤، وعلاقة النحو العربي بنحو النص للدكتور عبد السلام حامد.

(٢)نقلاً عن الموسوعة الحرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجملة لا يهتم بالعلاقة بين شكل الجملة ومضمونها أو مناسبتها لما قبلها أو ما بعدها، وذلك ما يهتم به نحو النص.

ويمكن القول إن نحو النص يدخل في جملة وظائفه كثيرًا من الموضوعات التي يختص بها علم البلاغة مثل: مراعاة مقتضى الحال، وكمال الاتصال وكمال الانقطاع، والإيجاز والإطناب والمساواة وغيرها، ويدخل موضوعات من مهمات نقاد الأدب مثل: الحديث عن الوحدة العضوية والوحدة الموضوعية، والعلاقة بين الشكل والمضمون وغير ذلك .

ويستفاد من أقوال الباحثين في نحو النص أن العلاقة بينه وبين نحو الجملة علاقة تكامل، وأن أحدهما لا يغني عن الآخر، وأن التراث النحوي بما يحويه من مفاهيم وقواعد هو الأساس الفعلي للاتجاهات النصية وهو منبع كثير من أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها ، وذلك واضح بشكل كبير في مؤلفات رواد نحو النص ومناهجهم في التحليل النصي.(١)

ويقول أحدهم:"إن فكرة النصية نفسها ليست غائبة عن تراثنا النحوي، فحين نقرأ مثلاً قول ابن هشام:"القرآن كله كالسورة الواحدة ، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى"، نجده تعبيراً عمليًا عن فكرة الوحدة النصية، وخروجًا من دائرة الجملة إلى دائرة أرحب هي دائرة النص"(٢)، ويقول: " نحو الجملة إذًا ليس بريئًا من نحو النص لكنه جعل إحكام أمر الجملة اهتمامه الأول، ووقف عندها وقوفًا وظيفيًا ليترك ما فوقها لغيره من التخصصات تكمل التلاحم سبكًا وحبكًا، ولا ننسى أن النحاة في سياق نحو الجملة قد أقروا عدة أمور تفوق مرام الجملة كمراعاة السياق مقامًا وحالاً، وأمن اللبس لدى السامع ".(٣)

وقد ظل نحو الجملة منفردًا بالساحة العلمية أزمنة متطاولة ، ثم جاء نحو النص بناءً عليه وتطويرًا له، ومن المسلمات أن العلوم في تطورها لا يلغي اللاحق منها السابق، وإنما يأخذ مكانًا بجانبه، وهذا التطوير أبرز خلافًا بين نحو الجملة ونحو النص، وأبرز نقاط الخلاف بين النحوين أن نحو النص يتجاوز الجملة ويحدد النص بأنه وحدة دلالية كبرى، كما أنه يقتصر على مناط

---

(١)انظر: شعر محمد مهدي الجواهري دراسة نحوية نصية صـ٣٦.

(٢)المصدر السابق صـ٣٦، ٣٧.

(٣)المصدر نفسه صـ٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإبداع، ويتخفف من كثير من قضايا نحو الجملة كالصحة التركيبية والالتزام الحرفي بالمعيار، وحين يتناول هذه القضايا لا يتناولها ليقف عندها بل لينفذ إلى أغراض فنية جوهرية بالنسبة له، كما أنه يتوسعويراعي في وصفه وتحليلاته عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل في نحو الجملة مثل: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية وغير ذلك من الظواهر التي تخرج عن إطار الجملة المفردة.

وخلاصة القول إن نحو النص يعطي الجملة حقها ولا يجور عليه ويعدها وحدة محورية لبنية النص، لنكها في نظره تابعة لا رئيسة، وجزء من كل وليست مقصودة لذاتها.[١]

(١)انظر: شعر محمد مهدي الجواهري دراسة نحوية نصية صـ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

ملامح لنحو النص في تراثنا النحوي

ذكر الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حامد في بحث له بعنوان:(علاقة النحو العربي بنحو النص) أن النحو العربي برغم تصنيفه على أنه نحو جملة ولا يدخل في إطار نحو النص يمكننا أن نجد فيه لمحات ونظرات نصية لدى بعض النحاة، وأن نلاحظ فيه كثيرًا من المعطيات النصية، وذلك يتضح في مسألتين، أولاهما: حصر جهود النحاة النصية، والثانية: الالتفات إلى أثر النحو العربي فيما سُمي بـ (لسانيات النص العربية).

– وحصر جهود النحاة النصية يكون بدراستها في نماذج تمثلها، وفي دراسة أعلام النحاة الذين عُنوا بالنص واهتموا به، وبدراسة النحو التطبيقي.

ومن أعلام النحاة الذين عنوا بالنص عناية كبيرة نظريًّا وتطبيقيًّا: ابن جني، وابن هشام ، فابن جني جمع بين النظر والتطبيق وبخاصة في كتبه: الخصائص، والمحتسب، وشروحه الشعرية المتعددة، وكان له في ذلك أصول، ومبادئ، وآراء، وتطبيقات كثيرة لا تُنكر، ولها أثرها.[١]

وابن هشام اهتمَّ في كتبه – ولاسيما مغني اللبيب، وشرح شذور الذهب – بالتطبيق والاستشهاد كثيرًا بالقرآن الكريم، بل إن كتابه المغني متوجه توجهًا نصيًّا باهتمامه كثيرًا بالقرآن من حيث الغاية والتنظير والتطبيق ، ومراجعة مقدمة الكتاب ومسائله تثبت هذا.

فقد ذكر في المقدمة أن غرضه من كتابه تيسير علم الإعراب بعد أن أصبحت الكتب الموضوعة فيه مكررة مليئة بالحشو، وليس فيها الأصول العامة والقوانين الكلية التي تضبط الفهم وتذلل الصعب، وكل ذلك خدمة للقرآن الكريم، والحديث الشريف.

وبالإضافة إلى أن نصف الكتاب تقريبًا خصص للحديث عن حروف المعاني وهي ذات فاعلية كبيرة في الربط وبناء الجمل وتتابعها نجد الأبواب الآتية من أهم مسائل الكتاب التي تنصبُّ على التنظير لنحو الجملة الموجه للتطبيق، وتجاوز في كثير من الموضوعات حدود الجملة الواحدة:

– الباب الثاني: وهو في تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها، ومن ذلك الجمل التي ليس لها محل من الإعراب وهي سبع ، والجمل التي لها محل من الإعراب وهي تسع.[٢]

---

(١) عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني ١/١٨١ ، ٢٠٨ .

(٢) مغني اللبيب ٢/٣٧٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– الباب الرابع : وهو في ذكر أحكام يكثر دورها، مثل: ما يعرف به المبتدأ والخبر، وما يفترق فيه عطف البيان والبدل، والحال والتمييز، وتفصيل الروابط من جهتين: روابط الجملة بما هي خبر عنه وهي عشرة ، والأشياء التي تحتاج إلى رابط وهي أحد عشر شيئًا.(١)

– الباب الخامس : الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وهي عشر منها: أن يراعي ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى والعكس، وأن يخرَّج على ما لم يثبت في العربية، وأن يترك بعض ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة، وألا يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، وأنه تجوز أشياء في الشعر ولا تجوز في النثر.(٢)

– الباب السادس : في ذكر أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها.(٣)

وأما النحو التطبيقي فالمقصود به كتب إعراب القرآن وبيان معانيه، وكتب التفسير التي اهتمت بالنحو، وشروح الشعر المختلفة.

ومن المعروف أن حيوية النحو العربي في القديم نبعت من أنه علم نصي نشأ في حضن القرآن الكريم والشعر العربي القديم، وأن النحاة لم يوقفوا دراستهم على الجانب النظري بل تخطوا ذلك إلى الجانب التطبيقي متخذين من القرآن الكريم والشعر العربي القديم وشعر معاصريهم أحيانًا مادة خصبة للتطبيق النحوي.(٤)

ثم ذكر مثالًا لذلك من القرآن الكريم وهو ما قدمه أبو حيان من تحليل وتفسير حول قوله – تعالى – : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة ٤٥ ، ٤٦] فقد تكلم في الآيتين بالتفصيل عن النقاط الآتية: مرجع الضمير في (إنها) واحتمالاته المختلفة – الاستثناء المفرغ بـ (إلا) – موقع (الذين) وأنه يجوز فيه الإتباع والقطع إلى الرفع أو النصب للمدح – معنى الظن في (يظنون) وكونه بمعنى اليقين أو الحسبان – معنى الملاقاة صرفيًّا بناءً على أنه إذا قيل إن (فاعَل) تأتي بمعنى (فَعَل)مثل: عافى وعاقب فهذا لا يصح هنا؛ لأن الصيغة المجردة من هذا الفعل (لقي) تدل على الاشتراك فمادة اللقاء مجردة ومزيدة تقتضي الاشتراك في كل حال – معنى الإضافة غير المحضة في (ربهم) وكون

---

(١) مغني اللبيب ٤٩٨/٢ ، ٥٠٢.

(٢) المصدر نفسه ٥٢٧/٢-٥٩٢.

(٣) المصدر نفسه ٦٥٠/٢.

(٤) يُنظر : نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، للدكتور/ مصطفى النحاس صـ ١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإضافة إلى الرب في غاية الفصاحة– تفسير معنى الملاقاة دلاليًا على أربعة أوجه، الأول : أن يكون اللقاء بمعنى رؤية الله – سبحانه – ، وعلى هذا يكون الظن على بابه يراد به الترجيح، والثاني: أن يكون على حذف مضاف، والتقدير: يظنون أنهم ملاقو جزاء ربهم، والظن بمعنى اليقين، والثالث : أن يكون بمعنى الكناية عن الموت وانقضاء الأجل ، والظن على هذا بمعنى اليقين أيضًا، والرابع : أن يكون بمعنى حذف مضاف أخص، أي: يظنون أنهم ملاقو ثواب ربهم، والظن هنا على بابه بمعنى الحسبان.(١)

ثم ذكر مثالًا تطبيقيًّا للشعر وهو شرح ابن هشام لقصيدة بانت سعاد، وهو من شروحها التي اهتمت في المقام الأول بإعرابها ومسائلها النحوية لكنه لا يخلو مع ذلك من وجوه أخرى من الاهتمام، كالاهتمام بالفوائد اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها ، وقد اشتمل على مسائل دقيقة خلا من أكثرها جميع مصنفاته، ومن النماذج العملية في هذا الشرح أن ابن هشام شرح المعنى الإجمالي لستة عشر بيتًا، وكان في الوقت نفسه معنيًّا بربط معاني الأبيات فيما بينها، ولذا قال في شرح البيت الثامن والثلاثين:

أُنْبِئْتُ أنّ رسـولَ اللهِ أَوْعَـدَنـــي... والعَفْوُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ مأمولُ

(جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فإن غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف) وبعده قوله:

مَهْلاً! هداك الذي أَعْطَاكَ نافلةَ الـ... قُرْآن فيها مَوَاعِيظٌ وَتَفْصيل

فبيَّن ابن هشام أن هذا البيت وما بعده تتمة للاستعطاف، والاستعطاف فيه من جهات:

أحدها : طلب الرفق والأناة، والثاني: الدعاء له في قوله:(هداك)، والثالث: التذكير بنعمة الله عليه، والرابع: الإقرار بالتنزيل، والخامس: التذكير بما جاء في التنزيل من قوله تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٩].(٢)

وفي موضوع الالتفات إلى أثر النحو العربي فيما سمي بلسانيات النص العربية ذكر أن هذه اللسانيات تشمل: البلاغة التي تتعامل مع النثر والشعر، والنقد الأدبي الذي يركز على الشعر، والتفسير وأصول الفقه وهما موجهان إلى القرآن والحديث النبوي(٣)، وهذه العلوم بطبيعتها

---

(١) البحر المحيط ٣٠٠/١ ، ٣٠١، ط . دار الفكر – بيروت (١٩٩٢م) .

(٢) انظر : قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث للدكتور/ السيد إبراهيم محمد صـ ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣١، ومنهج ابن هشام في شرح بانت سعاد للدكتور/ محمود ياقوت صـ ٩٣.

(٣) انظر : لسانيات النص .. مدخل إلى انسجام الخطاب صـ ٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واهتماماتها ومباحثها توجه إلى النص، ومع هذا نجد أنها أفادت من نحو الجملة كثيرًا ووسعته وبنت عليه، وخاصة في البلاغة والتفسير.

فالبلاغة العربية اهتمت بالأدوات التي يتماسك بها الخطاب، وكان المبحث المهيمن في ذلك هو مبحث الفصل والوصل، وهو يقوم على أسس نحوية واضحة يتم فيها استحضار باب التوابع، وبالجملة فالبلاغة لها أصول نحوية نصية مستمدة من جهود سيبويه، وابن جني، وعبد القاهر الجرجاني .

وعلم التفسير يهتم بانسجام الخطاب على ثلاثة مستويات،هي: النحو، والمعجم، والدلالة، ويعتني في النحو بالعطف والإحالة والإشارة، وفي المعجم بالتكرار، وبناء السورة على حرف أو حروف، وفي الدلالة بموضوع الخطاب، وتنظيمه، وترتيبه، والعلاقات من حيث البيان والتفسير، والإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص.

وبناءً على ما تقدم ندرك أن النحو العربي وإن لم يكن نحو نص بالمفهوم الحديث علم نصي بالمفهوم العام لتعلقه الوثيق بالقرآن والشعر وإسهاماته الواضحة في هذا، وأن ما قدمه النحو العربي في هذا الشأن يدخل في باب التماسك أو السبك أكثر من غيره.

هذا ، وقد ذكر الأستاذ/ عبد المهدي هاشم الجراح في بحثه: (نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي)أن علماء نحو النص أجمعوا على أن التماسك والترابط بين التراكيب يتحقق بوجود عاملين: عامل لغوي وهو الترابط بين السياق اللغوي، وعامل غير لغوي وهو الترابط الحاصل فيما بين الملفوظات والمقام الخارجي وقد يمتد الأمر ليشمل الترابط الحاصل فيما بين اللغة وسياقاتها المختلفة، وأن الترابط داخل السياق اللغوي عبارة عن ترابط التراكيب فيما بينها بفعل الروابط النحوية الدلالية، مثل: الوصل، والإحالة، والتكرار.

ويقرر هذا الباحث أنه ثبت له بعد القراءة والتحليل في كتب النحو أن النحويين العرب قد تناولوا كثيرًا من الروابط التركيبية بحثًا وتحليلًا فكان حديثهم في كثير من الأحيان يتجاوز حدود الجملة الواحدة ليصل إلى جملتين هذا من جهة، وكان يبحث في اكتمال التركيب اعتمادًا على المقام أو السياق من جهة أخرى، وهذا كله يدخل في نحو النص صراحة، بل إن هذين الاتجاهين هما محور نظرية نحو النص أساسًا.[١]

---

(١)انظر : مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد (٣٣) العدد(١)، سنة٢٠٠٦م البحث المذكور صـ ٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع

من مظاهر نحو النص في تراثنا النحوي

يقرر الباحثون في نحو النص أن الترابط النصي له أهمية بالغة في نحو النص؛ لأنه يتعامل مع النص على أنه بنية كلية فيقوم بتحليل الخواص التي أدت إلى تماسكه، ولهذا يمزج في دراسته للنص بين جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، وهو في ذلك يبحث عن الاتساق، وتحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون فصل بين هذه المستويات اللغوية المختلفة، فمهمة نحو النص هي البحث عن كيف ارتبط الأول بالآخر أو الآخر بالأول، وعندما نقف أمام حشد من الاتساق والسمات اللغوية والمعلومات التاريخية يتبين لنا أن تلك الجزئيات قد تجمعت في نظام يمكن أن نطلق عليه الترابط النصي، فالترابط النصي أو التماسك النصي هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته لفظية أو معنوية.(١)

والقارئ في كتب النحو العربي بدءًا بكتاب سيبويه وانتهاءً مثلًا بحاشية الصبان على شرح الأشموني يجد أن فكرة هيمنة الربط النحوي كانت تسيطر على عقول النحويين بعضها على مستوى المفردات داخل الجملة، والبعض الآخر على مستوى يتجاوز الجملة الواحدة، وهذا الثاني هو محور حديثنا؛ لأنه من أهم الأسس التي قام عليها نحو النص، إذ يصرح علماؤه بأن وصف الملفوظ إذا ما تعدى الجملة الواحدة هو من أهم أسس وجود نحو النص ومبرراته.(٢)

يقول الأستاذ عبد المهدي الجراح:(يلحظ أن النحويين اهتموا اهتمامًا كبيرًا بمسألة الترابط الحاصل بين جملتين فأكثر، وهذا الاهتمام يعد من قبيل التطبيقات النصية فهو حديث تطبيقي يدخل ضمن نحو النص، ويميز المرء مجموعة من الصور والأساليب الدالة على ذلك)ثم يذكر خمسة من هذه الأساليب، أذكر أربعة منها :

الأسلوب الأول : ما عبر عنه بالاقتران التتابعي [ويقصد به التلاحم الكلي الحاصل بين الجمل المتتابعة، ويمثله في العربية أسلوب العطف؛ لأن العطف إشراك للمعطوف في حكم المعطوف عليه، وفي هذا تتابع كلي للمنظومة الجملية، يقول سيبويه في (باب اشتراك الفعل في (أن) وانقطاع الآخر من الأول الذي عمل فيه) : (فالحروف التي تشرك الواو ، والفاء ، وثم ، وأو ، وذلك قوله : أريد أن تأتيني ثم تحدثني ، وأريد أن تفعل ذلك وتحسن ، وأريد أن تأتينا فتبايعنا ، وأريد أن تنطق

---

(١) نقلًا عن الموسوعة الحرة.

(٢) نسيج النص للزناد صـ ١٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بجميل أو تسكت)[١] ويقرر سيبويه في هذا اشتراك المعطوف على الفعل المنصوب بـ (أن) في الحكم ، ويحدد الأدوات التي تشرك الفعل المعطوف على الفعل المنصوب بـ (أن)، وحديثه هذا يدخل ضمن الترابط الحاصل بين غير جملة داخل السياق اللغوي، والأمثلة التي يذكرها تشكل نصوصًا كل نص مكون من جملتين فأكثر.

والأسلوب الثاني : اشتراط الرابط النحوي في جمل بعينها

ويعد اشتراط النحويين لوجود رابط في جمل بعينها مظهرًا أساسيًّا من مظاهر الترابط النصي، وقد اشترط النحويون ذلك في الجمل الواقعة خبرًا أو صفة أو حالًا وفي جملة جواب الشرط وجملة الصلة.

- ففي الجملة الواقعة خبرًا يقررون أنه لابد من اشتمالها على ذكر يرجع إلى المبتدأ؛ ليربطها بالمبتدأ،ولئلا تقع أجنبية منه إذا كانت غيره في المعنى[٢]،وذلك لأنها إذا وقعت أجنبية منه انعدمت الفائدة من العملية الإخبارية أصلًا؛ لأن الإسناد وقصديته تعني تأسيس علاقات نسقية توافقية لا تخالفية، وعلاقة التوافق الإسنادي تعطي النص علاقات الترابط الفاعلة والمقبولة.
- وكذلك الشأن في اشتراطهم وجود رابط في جملة الصفة يعود على الموصوف.[٣]
- وفي حديث النحويين عن الرابط في الجملة الحالية دقة كبيرة، ووعي حسن بأهمية الرابط في إزالة الإبهام وتحقيق الفائدة المرجوة من جملة الحال، ولهم في الجملة الاسمية الواقعة حالًا ثلاثة مذاهب:

الأول : جواز خلوها من الواو والضمير معًا، وهو مذهب سيبويه، وابن مالك.[٤]

والثاني : وجوب اقترانها بالواو والضمير معًا، وهو مذهب الفراء، والزمخشري، وابن جني.[٥]

والثالث : جواز اقترانها إما بالواو وإما بالضمير، وهذا المذهب عليه معظم النحويين، ومنهم: المبرد، وابن يعيش، وابن عصفور، وأبو حيان، وابن عقيل[٦]، وهذا الخلاف يدل على أهمية الرابط

---

(١)الكتاب ٥٢/٣.

(٢) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش ٩١/١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ينظر: الكتاب٣٩١/١، وشرح عمدة الحافظ صـ ٤٥٨.

(٥) ينظر: المفصل صـ ٥٢، وهمع الهوامع ٤٧/٤.

(٦) ينظر : المقتضب ١٢٥/٤، وابن يعيش ٦٥/٢، والمقرب ١٧٠/١، والنكت الحسان صـ١٠٠، والمساعد ٤٦/٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الجملة الحالية الاسمية، والمذهب الثالث منها تؤيده شواهد القرآن الكريم، وكلام العرب نظمًا ونثرًا[١]، والمنطلق الأساسي في نحوية النص يقوم على أساس أن الضمير رابط بنيوي إحالي مفرد يحيل إلى سابق أو لاحق، ويفي بالغرض المطلوب، وكذلك الواو فيه رابط بنيوي إضافي يفي بالغرض نفسه.

- وفي جملة الصلة تحدث النحويون حديثًا دقيقًا عن أهمية الرابط فيها إذ اشترطوا وجود عائد في جملة الصلة يربطها بالموصول[٢]،وجعلوا صلة الموصول ضرورة من ضرورات التماسك بين التراكيب والتمام، وذكروا أن الصلة تعرف بالموصول ويتم بها معناه، وقد تكون ملفوظة، نحو: "جاء الذي أكرمته"، وقد تكون مقدرة كما في قول الشاعر:

نَحْنُ الأُلى فاجْمَعْ جُموعَكَ...ثُمَّ وجِّهْهُمْ إِلَيْنا

أي: نحن الألى عرفوا بالشجاعة بدلالة المقام[٣]، فصلة الموصول أساس في تمام الفائدة من ترابط الجمل داخل السلسلة الجملية المكونة للنص.

واشتراط النحويين الرابط في الجمل الواقعة صفة وحالًا وخبرًا يعد من قبيل الترابط النصي، ونظراتهم إلى العلاقات السياقية في ذلك تؤكد أن مقاصدهم كانت مقاصد نصية لا مقاصد جملية ضيقة.

والأسلوب الثالث : أسلوب الاقتران الشرطي

وهو يدخل في دائرة الترابط النصي؛ لأنه يتضمن ترابطًا بين جملتين: جملة الشرط، وجملة الجواب، كما أن وجود الفاء في جملة جواب الشرط يعد أيضًا من قبيل تمام الربط، والاقتران الشرطي يكفل تحقيق ما يسمى الوصل السببي الذي هو نمط من أنماط التدرج المنطقي الناجح في النص، وهو يعنى أن تحقق إحدى صور المعلومات يتوقف على حدوث الأخرى، كما أنك تجد في الشرط تدرجًا أي: انتقالاً يقتضيه المنطق من فكرة إلى أخرى؛ لكون إحداهما نتيجة حتمية للأخرى، فتكون السببية هي الرابطة بينهما، والعنصر الرابط بين مكونات أسلوب الشرط كليًّا هو التصور الذهني للعلاقة الرابطة بين فعل الشرط وجواب الشرط بصرف النظر عن العنصر الذي يجزم جواب الشرط، وهو المختلف فيه عند النحويين .

---

(١) انظر : الحذف في المثل العربي صـ ١٨٤.

(٢) ينظر : حاشية الصبان ٢٣٥/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٣٣/١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجدير بالذكر أن حديث النحويين في هذا الجانب يتناول الربط النصي، والشواهد القرآنية، أو الشعرية التي يذكرونها تمثل نصوصًا لا جملاً، وكل نص يضم تركيبين، أو جملتين ترتبطان ببعضهما بفعل تصور ظاهرة التعليق الشرطي، وتصور التعليق الشرطي ناشئ عن اتحاد أداة الشرط، وجملة فعل الشرط، وجملة جواب الشرط، وهو اتحاد يكون نصًا كاملاً متكاملاً.(١)

الأسلوب الرابع : الاقتران التعددي

ويقصد به تعدد الجمل التي تجمعها علاقة الاقتران السياقي الوحدوي، مثل: تعدد الجمل الواقعة خبرًا ، ونعتًا ، وحالاً ، إذ الأصل قبول تعدد الخبر والنعت والحال ، ومن أمثلة تعدد الحال مع كونه جملة قول امرئ القيس:

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَجَّلِ(٢)

فالحال فيه متعددة لوصف الحركة المشوبة بالخوف، فجملة (أمشي)، وجملة(تجر وراءنا) جملتان حاليتان تصفان الحالة التي كان عليها امرؤ القيس وصاحبته، وهذا التعدد يخدم الموقف الشعري بدقة ويدعمه ، ومثله قول عنترة :

لَمّا رَآني قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبدَى نَواجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسّمِ(٣)

والجملتان (قد نزلت)، و(أريده) جملتان حاليتان جيء بهما لرسم المشهد داخل المعركة، وهو يتضمن رؤية الفارس، وهو ينزل عن فرسه قاصدًا قتل الغريم المقابل، وهذا التعدد يخدم الدلالات النصية، ويأتي لأغراض متعددة يكشفها السياق.

---

(١)انظر : نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي صـ ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للأنباري صـ ٣٥.

(٣) المصدر السابق صـ ٣٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتحت عنوان: الترابط النصي اعتمادًا على السياقات غير اللغوية يذكر الباحث أن النحويين العرب اعتمدوا على السياق غير اللغوي في تفسير حالات نحوية دلالية كثيرة، وكان عملهم في ذلك من قبيل الترابط النصي، ومن نماذج ذلك:

أ _ تقدير المحذوف اعتمادًا على المقام والحال :

فالنحويون يقدرون المحذوف في الجملة، ويقدرون الجملة كاملة، ويقدرون عدة جمل اعتمادًا منهم على قرينة الحال والمقام، واعتمادهم على تلك القرائن واضح وقوي، وذلك يعد من قبيل البحث في التماسك التركيبي الذي يدخل ضمن نحو النص؛ لأن ربط التركيب الذي طاله الحذف بالمقام يدخله في هذا المجال ؛ لأن السامع أو الناظر لا يكون في تلك الحالة أمام تركيب مفرد بل يكون أمام عملية عقلية مترابطة الأجزاء منطقيًّا ، وفي غيبة مراعاة المقام أو الحال لا يدخل التركيب ضمن نحو النص بل يدخل ضمن نحو الجملة .

وقد كان حديث النحويين عن الحذف بأشكاله جميعها حديثًا نصيًّا يدخل في نحو النص؛ لأنهم يمارسون فيه التحليلات الآتية :

١. البحث عن دليل يدل على الحذف .٢. ربط المحذوف بالمقام الخارجي .

٣. ربط الحذف بالغرض الذي لأجله تم الحذف، وهذا مما تنادي به الدراسات اللغوية المرتبطة بنحو النص حيث تشترط في أي عملية لغوية إنتاجية وجود قصد ثابت، ومعلوم أن القصدية شرط من شروط تحقق النصية.

٤. ربط الحذف النحوي كاملاً بالمقام:

يقول الباحث:"وقد كان ابن جني دقيقًا جدًّا، وواعيًا تمامًا حينما جعل الحذف من باب شجاعة العربية، واشترط الدليل على الحذف، وإلا أصبحت العملية ضربًا من ضروب التكلف والضياع.([1])

ثــم يذكر أن سيبويه كان يركز في مواضع مختلفة من كتابه على مسألة الحذف، ودلالة المقام

---

(١) الخصائص ٣٦٢/٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على المحذوف مثل: (اللهم ضَبُعًا لا ذِئبًا)([1])، و(أَمرَ مُبْكِياتِك لا أمر مضحكاتك)([2])، و(هذا ولا زعماتك)([3])، و(الظباء على البقر)([4])، و(كليهما وتمرًا)([5]) فهذه الأمثلة جميعها قد طالهاالحذف، ويستدل على المحذوف اعتمادًا على المقام، وعند الحذف كانت هناك قصة كاملة يدور حولها المثل، وقد انبثق عنها، فالارتباط الحاصل بين المثل والحادثة هو ارتباط نصي، وليس من المبالغة القول بأن ارتباط المثل بالحادثة المحددة أو ارتباط التركيب بالمحذوف المضمر يشكل ارتباطًا نصيًّا بحيث يشكلان نصًّا كاملاً.([6])

ب _ تفسير الحدث الجملي الانفعالي اعتمادًا على المقام:

ويقصد بالحدث الجملي الانفعالي التراكيب والأساليب النحوية التي تحدث نتيجة لرغبة المرسل في تحقيق غاية انفعالية عاطفية،وخير ما يمثلها في لغتنا العربية: أساليب التعجب، والإغراء، والتحذير، والنداء، والمبني للمفعول أيضًا، يقول الباحث:

وقد يقال: هذه الأساليب مكونة من جملة واحدة فكيف تكون نصًّا؟، وكيف تدخل في نحو النص؟ أقول: إن هذه الجمل نابعة من موقف انفعالي، أي: من علاقة حميمة تكون بين المرسل، والمستقبل كما أنها ذات ارتباط شديد بالمقام لدرجة أنه يصعب فهمها، وتوجيهها دون النظر في المقام، والظروف التي عليها الباث أو المرسل ساعة إنتاجها فتكون العلاقة التي تحكم هذه الأساليب وتحدد المحذوف فيها هي علاقة الترابط المقامي الحميمي، ولا يكون الأمر هنا منصبًّا على تقدير المحذوف بقدر ما ينصب على لفت الأنظار والانتباه تجاه الحدث المقصود الذي يمثل قصة متكاملة، وفي هذا تحقيق كامل لأطراف معادلة الاتصال، وهي: المرسل، والمستقبل، والرسالة، فوجود هذه العناصر ضروري لبناء النص ونحويته.([7])

---

(١) الكتاب ١/٢٥٥ .

(٢) السابق ١/٢٥٦ .

(٣) السابق ١/٢٨٠ .

(٤) السابق ١/٢٥٦ .

(٥) السابق ١/٢٨٠ .

(٦) انظر : نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي صـ ٧٩ .

(٧) المصدر السابق صـ٧٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يفصل القول في ذلك فيذكر أن تحديد القدماء للتعجب يعد من قبيل بناء النص، وأنه على درجة كبيرة من الربط، وفيه بسط للمقام وتحليل لملابساته، وفيه أن التعجب يمثل قصة، وأنه يعتمد على نفسية الإنسان، وهذا مزج للنحو بالمواقف النفسية، وهذا ما يطلبه علماء نحو النص.([1])

ثم يذكر أن النداء يدخل أيضًا في دائرة اللغة الانفعالية، ويقتضي وجود سياق حالي محدد يقوم على علاقة ترابطية بين التركيب والمقام، وللنحاة فيه إشارات طريفة تدخل في دائرة الترابط النصي، ومنها ما يذكره الأشموني من أن (يا) لا تستعمل في الندبة إلا عند أمن اللبس، فإن خيف اللبس تعينت (وا)، وذلك يثبت أهمية ربط الجملة بالسياق، وهو المقام؛ لأنه تحديد أمر النداء أو الندبة قائم عليه، وذلك يدخل ربط التركيب الندائي بالقصة.

ثم يذكر أن نموذج الإغراء أو التحذير داخل في دائرة اللغة الانفعالية التي تعتمد على المقام في تحليل تركيبها وارتباطاتها النصية، يضاف إلى ذلك أن تراكيب الإغراء والتحذير يمسها الحذف، ولا يمكن للمحذوف أن يفسر إلا اعتمادًا على المقام، وينقل نصًّا عن ابن يعيش في الحديث عن ذلك، وهو قوله:(اعلم أنّ هذا الضرب ممّا ينتصب على إضمارِ الفعل المتروكِ إظهاره، وذلك قولك في التحذير: "الأسدَ الأسدَ"، و"الجِدارَ الجدارَ"، و"الصبيَّ الصبيَّ" و"الطريقَ الطريقَ"، إذا كنتَ تُحذِّره من الأسد أن يُصادِفه، ومن الجدار المتداعِي أن يقرُب منه لئلا يقع عليه، أو ينالَه، ومن الصبيّ أن يَطَأَه إذا كان في طريقه وهو غافلٌ عنه، ومن الطريق المخوف أن يمُرّ فيه، وكذلك قالوا في الإغراء: "أخاك أخاك"، وانتصابُ هذه الأسماء بفعل مضمر تقديرُه: اتَّقِ الأسدَ أن يصادفك، واتّقِ الجدارَ أن ينالك، وجانِبِ الصبيَّ لئلاّ تطأَه، وخَلِّ الطريقَ، والْزَمْ أخاك، فحُذفت هذه الأفعال؛ لكثرتها في كلامهم، ودلالةِ الحال، وما جرى من الذكر عليها).([2])

ثم قال، ويمكن تحليل كلام ابن يعيش على النحو التالي:

١. هذه التراكيب الدالة على التحذير والإغراء تقال عند قصد التحذير والإغراء .

---

(١)انظر: نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي صـ٧٩.

(٢) ابن يعيش ٢/٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. يربط ابن يعيش هذه التراكيب بالسياق، ويجعلها جزءًا من حدث نصي أساسه أو مفاده القصة التي يرتد إليها التركيب، مثل: رؤية إنسان يقترب منه الأسد فيخاف إنسان آخر عليه من مصادفة الأسد فيحذره قائلاً: "الأسد الأسد".

٣. الفعل العامل في المفعولات على التحذير هو مضمر، والإضمار يعني أن هذا التركيب يشكل نصًّا اعتمادًا على المقام ، والعامل في هذا التركيب هو مختزن أو يحمل ذاكرة نصية تمكنه من التأثير في هذا التركيب .

٤. تترابط هذه العناصر جميعها بفعل الظروف النفسية والفكرية مكونة بذلك نصًّا متماسكًا .([1])

جـ. تحديد دلالة التركيب اعتمادًا على سياق الحال:

في ذلك يذكر الباحث أن كتب النحو تشيع فيها إشارات تتضمن بعض التراكيب التي تفسر دلالتها وغرضها اعتمادًا على المقام أو سياق الحال؛ لأن النحويين تنبهوا إلى أهمية ملابسات الحال والموقف عمومًا في فهم عملية الحذف بأبعادها كافة، أي مجموعة القرائن الحالية، واعتمادها هذا يدخلها في دائرة نحو النص، وشواهد ذلك كثيرة ومتنوعة.

ومن ذلك ما يذكر حول (أما ولولا ولوما) فهي أدوات ترد للتوبيخ والتنديم، وتختص بالماضي، يقول الأشموني:(وترد هذه الأدوات للتوبيخ والتنديم، فتختص بالماضي أو ما في تأويله، ظاهراً أو مضمراً، نحو:﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾(النور: ١٣)،﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا﴾(الأحقاف: ٢٨)، ونحو قوله:

تَعُدُّوْنَ عَقَرَ الْنِّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بنِي ضَوْطَرَى لَوْلاَ الْكَمِيَّ الْمُقَنَّعَا

أي:لولا تعدون الكمي، بمعنى لولا عددتم؛لأن المراد توبيخهم على ترك عده في الماضي، وإنما قال:"تعدون" على حكاية الحال.([2])

---

(١) انظر نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي صـ ٨٠ .

(٢) انظر حاشية الصبان ٤/٧٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي هذا الكلام جانبان يدخلانه في دائرة الترابط النصي،وهما:

١. أن سياق الحال من توبيخ وتنديم هو الذي يفسر أن هذه الأدوات يؤتى بها لغرض التوبيخ ، والتنديم، فهناك وحدة في التصور والهدف.

٢. أن المقصود بقوله (تعدون) ليس الزمن الحاضروإنماالماضي، وما يدل على أنه قصد الماضي أنه أراد توبيخهم على ترك عده في الماضي إذ فسر تركيب (لولا تعدون الكمي) احتكامًا إلى المقام، فالمقام توبيخي، أي: أنه أراد توبيخهم فيما مضى.

ثم ذكر أن في النحو نماذج شديدة الصلة بالدلالة التركيبية النصية؛ لأن المقام فيها يقوم بدور مهم في تحديد نوع الحركة الإعرابية التي تؤثر في المعنى العام للتركيب النصي، وضرب لذلك مثلاً بقول الأشموني:(النصب في ذنوب ماءً، وحب عسلًا أولى من الجر؛ لأن النصب يدل على أن المتكلم أراد أن عنده ما يملأ الوعاء المذكور من الجنس المذكور، وأما الجر فيحتمل أن يكون مراده ذلك، وأن يكون مراده بيان أن عنده الوعاء الصالح لذلك).([1])

فاختيار النصب والجر قائم على قصدية المرسل، وما يحدد كل ذلك هو المقتضيات الدلالية المضمرة سياقيًا.([2])

أقول:وبما ذكره هذا الباحث يتبين أن نحو النص يشمل الجملة الناقصة المعتمدة على المقام في معرفة ما حذف منها، وليس كما اختار بعضهم خلاف ذلك.

هذا ، وقد نشرت المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها بحثًا للدكتور/ يوسف سليمان عليان عنوانه:(النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه) ، وفي تلخيص الباحث لبحثه يقول: توصلت الدراسة إلى أن سيبويه علم أن للجملة حدًّا واستقلالية، ولكنه أيضًا كان يدرك أن الجملة جزء من سياق كلامي موصول، ويؤيد هذا الرأي أن سيبويه كان يتجاوز في تحليله النظرة إلى الجملة وحدها، وكان يمد بصره إلى ما حولها من عناصر السياق بأنواعه المختلفة: المقامي، والمقالي، والثقافي،والتاريخي، والنفسي، وهذا السلوك ينفي عن النحو العربي، وعن سيبويه تحديدًا

---

(١) حاشية الصبان ٢/٢٩٣ .

(٢) انظر نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي صـ ٨٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تهمة اتخاذ الكلمة المفردة أو الجانب الشكلي للجملة وحده أساس التحليل النحوي في كتابه، وإنما كان سيبويه يستشعر ضرورة أن يكون الخطاب وحدة للتحليل، وهذا ما جعله مهتمًّا كثيرًا بالمتحدث وظروفه النفسية والاجتماعية في أثناء تحليله لما تناوله من نصوص ، وهذا يعني أن سيبويه اهتم بالكلام الحي التفاعلي الذي يسمح لنا بالقول إنه وضع لبنات جيدة تصلح أن تكون أساسًا في بناء نحو النص الحديث رغم أن كثيرًا من تحليله النحوي لم يتخلص من نحو الجملة.([1])

(١) انظر صـ ١٨٥ من المجلد ٧ العدد ١ الصادر في المحرم ١٤٣٢ هـ / كانون الثاني ٢٠١١م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الخامس

نظرات في تطبيق نحو النص

ما تقدم من التعريف بنحو النص، والمقارنة بينه وبين نحو الجملة عند المحدثين، والحديث عن أصول نحو النص في تراثنا النحوي، ومظاهره في ذلك التراث كل ذلك يُعد تناولًا نظريًا لهذا النحو، ولكي تتضح معالم هذا النحو بصورة جلية كان لابد من النظر والبحث في أمثلة تطبيقية لبعض من درسوا ذلك النحو وساروا على دربه؛ ولذلك رجعت إلى رسالة حديثة في هذا المجال عنوانها: «شعر محمد مهدي الجواهري، دراسة نحوية نصية»، وقد حصل صاحبها على درجة العالمية (الدكتوراه) من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وتطبيق نحو النص في الرسالة جاء في فصلين:

أحدهما بعنوان: «السبك».

والآخر بعنوان: «الحبك».

_وفي الفصل الأول[1] ذكر أن التماسك اللغوي للنص يرتكز على علاقات الربط النحوية والدلالية بين جمل النص التي يُشترط فيها الصحة النحوية والدلالية، وأن السبك يراد به جملة من العناصر اللغوية التي تحقق الربط بين العناصر البنائية في ظاهر النص، وهي التي تسمى: «وسائل السبك»، وتنقسم إلى وسائل سبك نحوية، ووسائل سبك معجمية، ووسائل سبك صوتية، وهذه الأخيرة ينْصَبُّ معظمها على أمور تتعلق بالشعر، كـ: التدوير، والتقفية.

ووسائل السبك النحوية تشمل أربعة أمور، وهي: الإحالة، والأدوات، والتضام، والتحديد.

- **أولًا: الإحالة:** يقصد بها عود الضمير وما يقوم مقامه من إشارة أو أداة تعريف أو إعادة لفظ ونحو ذلك، مما يربط الجمل بعضها ببعض، ويدخل في ذلك استخدام الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وغيرها، ولكي تكون الإحالة صحيحةً معتدًا بها لابد أن يتوفر فيها أمران:

أحدهما: التطابق بين المحيل والمحال إليه من حيث اللفظ والمعنى، إفرادًا وغيره، وتذكيرًا أو تأنيثًا.

---

(١) من صـ ٥٩ إلى صـ ١٨٣ من الكتاب المطبوع بالعنوان نفسه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والثاني: وضوح الإحالة وعدم غموضها بأن لا يمكن عود الإحالة إلا إلى المحال إليه المقصود عند منشئ النص.

وفي مجال نحو النص تقسم الإحالة إلى:"داخلية" وفيها يكون المحال إليه داخل النص، و"خارجية" وفيها يكون المحال إليه خارجه، وهو عنصر غير لغوي يدل عليه السياق أو المقام.

كما تنقسم إلى:"إحالة معجمية" وهي التي يكون فيها المحال إليه لفظًا مفردًا يدل على ذات أو معنى مفرد، و"إحالة نصية"وهي التي يكون فيها المحال إليه جزءًا من النص أو مقطعًا منه.

كما تقسم إلى:"إحالة قبلية" وهي الإحالة إلى سابق متقدم، وهي أكثر أنواع الإحالة دورانًا في الكلام، و"إحالة بعدية" وهي التي تكون فيها الإحالة إلى متأخر كمفسر ضمير الشأن.

كما تقسم إلى:"إحالة ذات مدى قريب"، وهي التي تقصر فيها المسافة بين العنصر الإحالي والمفسِّر، و"إحالة ذات مدى بعيد"وهي التي تطول فيها المسافة بين العنصر الإحالي والمفسر، وتتجاوز حدود الجملة الواحدة.

ثم قام الباحث بتطبيق ما ذكره على شعر الجواهري؛ بذكر نماذج للإحالة بادئًا بالضمائر، ومثنيًا بأسماء الإشارة، ثم ذكر نماذج للربط بالموصولات، ثم تحدث حديثًا مفصلًا عن نوعين من الإحالة، هما: الإحالة بالحذف، والإحالة بالاستبدال.

- فأما الإحالة بالحذف، فالمقصود بها ثلاثة أنواع من الحذف، وهي:

١. حذف عنصر اسمي بغض النظر عن موقعه الإعرابي، فقد يكون مبتدأ أو خبرًا أو مضافًا أو مضافًا إليه، ونحو ذلك.

٢. حذف عنصر فعلي، والمراد به حذف الفعل، ومنه ما يحذف مع الفعل فيه فاعله المستتر.

٣. حذف عبارة قد تكون جملة، أو عدة جمل.

وإنما عدّ الحذف من الإحالة؛ لأنه معين على الترابط والتماسك في النص؛ لأنه يؤدي إلى الاختصار، ويحيل المتلقي إلى القرائن اللفظية أو المفهومة من المقام، ولذلك يجب للحذف المعتمد في نحو النص أمران:

- أولهما: أن تكون هناك فائدة تعود على النص من هذا الحذف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- والثاني: أن يكون المقام قابلًا له؛ بحيث يدرك المتلقي ما وقع من الحذف؛ لدلالة القرائن.

– وأما الإحالة بالاستبدال، فيعبر بها عن إحلال عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخر، بحيث يحل الأول محل الثاني؛ لتحقيق سبك النص وترابطه، أو تحقيق الإيجاز والاختصار، وهذا النوع من الإحالة لا يكون إلا في داخل النص، ويذكر الباحثون في نحو النص ثلاثة أنواع لهذا النوع من الإحالة، وهي:

١. الإحالة بالاستبدال الاسمي،وضابطها: أن يكون المستبدل اسمًا وقع استبداله بكلمة تنوب عنه، مثل: آخر وآخرون وأخرى، وواحد وواحدة.

٢. الإحالة بالاستبدال الفعلي، وضابطها: أن يكون المستبدل فعلًا، فيحل محله فعل.

٣. الإحالة بالاستبدال القولي، أو العباري، وضابطها: أن يكون المستبدل جملة أو عدة جمل، فيقوم مقامه عنصر لغوي يؤدي وظيفته.

ومن شواهد الاستبدال الاسمي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِأُخْرَى﴾(سورة الزمر، من الآية ٦٨) أي: نفخة أخرى.

ومن شواهد الاستبدال الفعلي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا..﴾(سورة البقرة، من الآية ٢٤) بعد قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، فقام: تفعلوا مقام: تأتوا. ومن شواهد الاستبدال العباري قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ..﴾(سورة المائدة، من الآية ٣٢) حيث قال المفسرون:(ذلك ماذكر في تضاعيف القصة.

ويرى الباحث أن الإحالة بالاستبدال لا تقتصر على ما ذكره هؤلاء، فيدخل في الاستبدال الاسمي أمورٌ أخرى، مثل: قيام الصفة مقام الموصوف، والمضاف إليه مقام المضاف، واستبدال الاسم أو الحرف بالضمير، وقيام التنوين مقام اسم مفرد في التعويض، وغير ذلك.

ويدخل في الاستبدال الفعلي: التضمين في الأفعال، واستعمال أسماء الأفعال بدلًا من الأفعال، وقيام الاسم العامل عمل الفعل مقام الفعل، وغير ذلك.

ويدخل في الاستبدال العباري: التنوين الذي يأتي عوضًا عن جملةٍ، وأحرف الجواب؛ لكونها تُحذف بعدها الجمل وتقوم مقامها.

– **ثانيًا:الأدوات** : والربط بها صورة من صور الترابط اللفظي بين عناصر النص وبنائه، ويعرف بأنه قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر، وهو وسيلة عظمى من وسائل التأليف، وطريق لإحكام صنعة النص وجودة سبكه، وقيمة الربط بالأداة تنبع من أهمية معناها النحوي أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوظيفي الملتصق بها التصاقًا لا ينفصم عنها، كما في أدوات الشرط والنداء والقسم ونحوها. ونحو النص يهتم بالأدوات الرابطة بين الجمل أكثر من اهتمامه بسواها؛ لأن الجمل هي الوحدات المحورية لبناء النص، وجسور الربط بينها هي أساسسبكه؛ ولهذا تنال القسط الأوفر من البحث والتحليل.

- وفي هذا المجال تناول الباحث الربط بحروف العطف وأدوات الشرط

(أ) حروف العطف: وفي حديثه عن هذه الحروف ذكر الباحث أولا أن علماء العربية أعطوا الربط بها عناية كبيرة في الدرس اللغوي؛ ومن ذلك أن الإمام عبد القاهر جعل العطف أحد وجوه النحو المهمة التي بمراعاتها يتحقق النظم، وذكر أن عطف الجمل على بعضها أو تركه من أسرار البلاغة التي لا يتأتى الصواب فيها إلا للأعراب الخلص والمطبوعين حتى جعلت البلاغة معرفة الفصل من الوصل؛ لغموضه ودقة مسلكه.(١)

ومن ذلك قول ابن يعيش: « والمراد من عطف الجملة على الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى، والإيذانبحصول مضمونهما؛ لئلا يظن المخاطب أن المراد الجملة الثانية، وأن ذكر الأولى كالغلط ».(٢)

ثم ذكر أن لكل حرف من حروف العطف خواص وأحكامًا ومعاني نحوية تميزه عن بقية الحروف:

- فالواو العاطفة هي أم باب حروف العطف؛ لكثرة مجالها فيه، وهي مشركة في الإعراب والحكم(٣)، ومذهب جمهور النحويين أنها لمطلق الجمع، وهي ذات أثر كبير في ربط الكلام عند علماء نحو النص.
- والفاء تشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب، وتشارك (ثم) في إفادة الترتيب، لكنها تفارقها في أنها تفيد الاتصال.(٤)
- و(ثم) حرف عطف يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة.(٥)

---

(١)ينظر: دلائل الإعجاز صـ ٧٧، ٧٨.

(٢)ابن يعيش ٣/ ٦٠٥.

(٣)الجنى الداني صـ ١٥٣.

(٤)ينظر: المصدر السابق صـ ٦١، وما بعدها.

(٥)ينظر: المصدر السابق صـ٤٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- و(حتى) العاطفة عند البصريين يشترطون للعطف بها شرطين: أن يكون المعطوف بها بعض ما قبلها أو كبعضه، وأن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقصان.(١)

- و (أو) العاطفة تشرك في الإعراب لا في المعنى، وحكى المرادي عن ابن مالك أنها تشرك في الإعراب والمعنى، ولها ثمانية معان، هي: الشك والإبهام، والتخيير والإباحة، والتقسيم والإضراب، وبمعنى الواو، وبمعنى (ولا).(٢)

- و (لكن) العاطفة يُشترط لعطف المفردات بها خاصة أن يقع قبلها نفي أو نهي، أما إذا وليها جملة فيجوز أن تقع بعد الإيجاب، والمعطوف بها محكوم له بالثبوت، ومعناها في جميع مواضعها الاستدراك، ويكون معناها الإضراب إذا كانت حرف ابتداء.(٣)

(ب) أدوات الشرط، وفي حديثه عن تلك الأدوات ذكر الباحث أنها ترد وسيلة للربط بين جملتين مستقلتين في معناهما وفي إعرابهما، فتقوم بدمجهما معًا ليصبحا جملة واحدة في المعنى، ويتغير إعرابهما بناء على ذلك، وذكر أنها تعمل بشكل واضح في سبك النص؛ فعن طريقها ترتبط الجملتان المنفصلتان، وتصبحان كجملة واحدة في افتقار كل واحدة منهما إلى الأخرى كافتقار المبتدأ إلى الخبر، فالجملة الأولى التي هي شرط بمنزلة المبتدأ، والجملة الثانية التي هي جزاء كالخبر.(٤)

وذكر أن العلاقةالربطية الواضحة في أسلوب الشرط هي علاقة الترتب، وأدوات الشرط مطردة في الدلالة على هذه العلاقة؛ حيث تجعل إحدى الجملتين متعلقة بالأخرى من حيث ترتبها عليها، وكونها جوابا لها(٥)، وهذه الأدوات هي الأصل في الربط، وقد يساعدها عليه أمورٌ أخرى، كالجزم في فعلي الشرط والجواب، وكالفاء وإذا الداخلتان على جملة الجواب التي لا تصلح شرطًا.

---

(١)الجنى الداني صـ٥٤٢.

(٢)المصدر السابق صـ٢٢٧.

(٣)المصدر السابق صـ٥٨٦.

(٤)ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ١١٧/٢.

(٥)ينظر:مغني اللبيب٢١٩، بناء الجملة العربية صـ٢١٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالث وسائل السبك النحوية:التضام:

وهذه الوسيلة تُعنى برصد ما من شأنه أن يحدث التداخل والتلاصق بين عناصر التركيب، وقد عبر عن مفهومها الإمام عبد القاهر الجرجاني بمصطلح: «النظم والترتيب» حيث قال: «لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعض وَيبنى بعضُها على بعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك»[(١)]، وهذا التداخلبين التضام والنظم لا يسوغ المساواة بينهما؛ فالمقصود بالتضام هو تلك القرينة اللفظية التي تصف إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى ولا تقف بدونها.[(٢)]

ويلخص الدكتور تمام حسان مفهوم التضام في وجهين:

- الأول: الطرق الممكنة في رصف الجملة بسب التقديم والتأخير والفصل والوصل، ونحو ذلك.
- والثاني: أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنصرًا آخر، أو يتنافى مع عنصر آخر، والأول يسمى: «التلازم»، والثاني يسمى: «التنافي».

والتقديم والتأخير يحصل في كل أسلوب لغوي له عنصران متلازمان متطالبان؛ كالمبتدأ والخبر، والفعل الفاعل، والشرط والجواب، ونحو ذلك، والفصل والوصل موضع عناية النحويين والبلاغيين في تناولهم للأساليب اللغوية.

والتضام وثيق الصلة بالسبك؛ لأن موضوعه طرق رصف العناصر اللغوية لتكوين جملة، ورصف الجمل لتكوين نص، ومن أهم ظواهره: التزام الرتبة، والعلاقة الإعرابية، والتقديم والتأخير، والفصل والاعتراض.

رابع وسائل السبك النحوية: التحديد، وهو عبارة عن التعريف أو التنكير؛ بمعنى أن المتكلم يعرّف ما يريد تعريفه لدى المتلقي، ويترك تعريف ما يريد تنكيره وإبهامه، والسمة المحددة للتعريف قد تكون علاقة لغوية في المعرفة؛ كالعلامة (أل)، أو في متصل بها؛ كما في المضاف إلى معرف بـ (أل)، وقد تكون دالة على التعريف بجنسها اللغوي؛ كما في الموصوليات والإشارات، وقد

---

(١)دلائل الإعجاز صـ٥٥.

(٢)ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها صـ٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تكون دالة بالمقام؛ كما في النداء، وتتفاوت هذه السمة في درجة التعريف؛ فمن المعارف ما يدل بنفسه كالعلم، ومنها ما يكون كناية عن معرفة كالضمير.

ثم تحدث الباحث عن وسائل السبك المعجمية، وأهمها وسيلتان: التكرار، والمصاحبة المعجمية.

والتكرار فيه ربط للجمل؛ عن طريق العنصر المكرر بما يحققه من إنعاش للذاكرة، وأمن للبس، وتأكيد للمعنى. والمصاحبة المعجمية عنصر مهم لفهم النص.

والتكرار إعادة اللفظ بذاته من غير إفادة معنى زائد؛ بحيث تكون الثانية عين الأولى، ومن أهم الفوائد التي يحققها: إنعاش الذاكرة؛ لأنه استعادة لمذكور سابق، وذلك أدعى للتذكير به، وأمن اللبس، كما يتبين ذلك من تكرار لفظ الجلالة، وعدم الاستغناء عنه بضمير في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(سورة المائدة، من الآية٣٨)، فهذا التكرار ينفي توهم كون الجملة حالية.

والتأكيد للمعنى يحقق الربط المطلوب للنص.

والظاهر أن التكرار وسيلة نحوية لا معجمية، وفي هذا يقول الباحث:" ويبدو لي أن التكرار قد يكون وسيلة نحوية بدرجة ما رغم تصنيفه ضمن وسائل السبك المعجمية".[١]

والمصاحبة المعجمية يُقصد بها مراعاة التناسب بين الكلمتين المتصاحبتين من جهة والواقع من جهة أخرى، كما تقول: "بقرة صفراء"، ولا تقول: "بقرة خضراء"، كما يُقصد بها التمييز عند الاشتراك في السمات الدلالية، كما نستعمل مات للإنسان، ونفق للدابة، وفني للزرع، ومراعاة شيوع الاستعمال كما يقال: انصهر الحديد أو النحاس، ولا يقال: انصهر الورق أو الخيط، وهكذا.

والفصل الثاني عنوانه: الحبك[٢]، بدأه بتوطئة لبيان وظيفة الحبك، وهي: الربط المعنوي بين عناصر النص، وترجع أهميته إلى أنه يسهم في فهم النص وتأويله، ويظهر المعنى الصحيح لكل عنصر من عناصره، وقد يرجح وجهًا نحويًا معينًا، كما أن له مدخلًا في ترتيب عناصر النص.

---

(١)شعر محمد مهدي الجواهري دراسة نحوية نصية صـ١٤٢.

(٢)المصدر السابق من صـ١٨٥ إلى صـ٢٢٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ووسائل الحبك تنقسم إلى طرفية وداخلية، والطرفية منها تضم ما هو في أطراف النص، وتشمل: العنوان، والابتداء والانتهاء، والداخلية تضم ما عدا ذلك من علاقات معنوية داخل النص، فتشمل: التفسير، والتعليل، والتذييل، وتفصيل المجمل، كما تشمل ما في النص من تقابل، وما فيه من حوار، وبأدنى تأمل في هذه الأمور ندرك أنّ نحو الجملة كما يسميه هؤلاء لا يعنى بهذه الأمور؛ لكونها لا مدخل لها في مجال الإعراب والبناء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس

حاجة الدارسين إلى نحو النص

بعد هذه المباحث المتقدمة التي تكفلت بالتعريف بنحو النص، والمقارنة بينه وبين نحو الجملة لدى الباحثين، وبيان ما له من أصول في تراثنا النحوي، وبعض مظاهره في ذلك التراث، والنظر في تطبيق نحو النص في رسالة علمية تسير على دربه يثور لدينا سؤال: هل نحن-معاشر النحويين- في حاجة إلى هذا النوع الحديث من الدراسات النحوية؟ ومن هم الذين يمكنهم أن يستفيدوا من الدراسة النحوية النصية؟

وللإجابة على السؤال الأول ينبغي أن نجيب عن سؤال حول وظيفة النحو ووظيفة النحوي في لغتنا العربية ، والذي لا يماريفيه أحد أن وظيفة النحو هي صيانة اللسان من الخطأ والزلل في ضبط أواخر الكلمات، وقد كان ذلك هدف شيخ النحاة سيبويه عندما توجه لدراسة النحو، فقد ورد أنه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قول النبيﷺ "ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء" فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء فصاح به حماد: لحنت ياسيبويه إنما هذا استثناء فقال سيبويه: والله لأطلبن علما لا يلحنني معه أحد ثم مضى ولزم الخليل وغيره.(١)

والنحويون جميعًا منذ أن نشأ علم النحو وإلى يومنا هذا يهدفون بمؤلفاتهم ودراساتهم إلى ضبط ألسنة المتكلمين وأقلام الكاتبين بما نطقت به العرب الفصحاء في أواخر الكلمات العربية، وتعريفهم بالضبط الصحيح لكلمات القرآن الكريم، وألفاظ الحديث النبوي الشريف، وهما مصدران أساسيان للتشريع واستنباط الأحكام الشرعية.

وحول هذا المعنى يقول الزجاجي في كتابه الإيضاح في علل النحو : "إن قيل : ما الفائدة في تعلم النحو؟ فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عز وجل الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد في

---

(١)انظر:نشأة النحو ص٤٧ وسلامة اللغة العربية ص ١٦٦، ١٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معرفة أخبار النبي ﷺوإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنه لا يفهم معانيها إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب".(١)

وإذا رجعنا إلى ما قرره العلماء حول نشأة هذا العلم علمنا أن من أهم أسباب وضعه تسرب اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب إلى ألسنة المتكلمين ، يقول أبو الطيب " واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الإعراب؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبيﷺ فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال:"أرشدوا أخاكم فقد ضل"، وقال أبو بكر:"لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن".(٢)

لكن اللحن في صدر الإسلام كان قليلا ونادرًا ، فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية منذ عهد سيدنا عمر كان طبيعيا أن يهبط العرب إلى الأمصار التي افتتحوها وأن يكثر تملكهم للموالي، وأن يتقاطر الوافدون من الأمصار إلى الجزيرة العربية للعمرة والحج، وكان من أثر ذلك اختلاط العرب بغيرهم اختلاطًا مستمرا في البيوت والأسواق والمناسك والمساجد وتصاهروا واندمج بعضهم في بعض وبطول هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى السليقة العربية التي كانت نقية سليمة لا يتطرق إليها اللحن، وازداد اللحن انتشارا على ألسنة الأبناء الذين لم ينشئوا في البادية ولم يتغذوا من ينابيعها الفصيحة، وكثيرون منهم ولدوا لأمهات أجنبيات أو أعجميات فتأثروا بهن ، وكل ذلك جعل الحاجة ماسة إلى وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم، وقد كان العرب يعتزون بلغتهم اعتزازًا شديدًا وذلك دفعهم إلى وضع القواعد التي تكفل الحفاظ عليها من اللحن والذوبان في اللغات الأعجمية.(٣)

وقد مر هذا العلم بأربعة أطوار رئيسية هي: طور الوضع والتكوين ، ثم طور النشوء والنمو، ثم طور النضج والكمال، ثم طور الترجيح، وفي جميع هذه الأطوار كان هم النحويين الأول هو وضع قواعد الإعراب التي تعصم اللسان عن الخطأ واللحن، أو بعبارة أخرى بيان النطق الفصيح في مجالي البناء والإعراب، وتلك هي وظيفة النحوي، وهي التي تبين الغرض من وضع النحو.

---

(١) صـ٥٩ من الكتاب المذكور.

(٢)مراتب النحويين صـ٥.

(٣)انظر: نشأة النحو صـ١٤ إلى ١٦، والمدارس النحوية صـ١١ إلى ١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليس من وظيفة النحوي البحث في سمات النصوص وأنواعها، وما فيها من وحدة عضوية أو موضوعية وغير ذلك مما يعني به نحو النص، وإنما الذي يعنيه سلامة الكلام من اللحن والخطأ في الإعراب والبناء، وموافقته لطريقة العرب في التعبير، فإن قيل: من الممكن أن يعد هذا النحو تطورا حديثا لعلم النحو؛ فالجواب: أنه لا يقبل في تطور العلم إلا ما يخدم هدفه الأصيل، وما يكون نابعًا من قواعده وأصوله، ونحو النص هذا لا يخدم الهدف الأصيل لعلم النحو لكونه لا يهتم كثيرًا بالجزئيات التي يكون فيها الإعراب والبناء، كما أنه ليس نابعًا من قواعد علم النحو العربي وأصوله، وإنما هو وافد ترجم عن لغات أخرى لأقوام تختلف نظراتهم إلى علم النحو عن نظراتنا.

وإذا كان الأمر كذلك فمن الذين يمكنهم الاستفادة من دراسة هذا العلم وتطبيقه؟.

أقول:سبق في المبحث الأول الذي يعرف بنحو النص أن علماءه وصفوا له سبعة معايير، وهي:

١-السبك أو التماسك وهو يعني الارتباط اللفظي النحوي.

٢- الحبك أو التناسق وهو يعني ارتباط اللفظ بالمعنى.

٣-القصد وهو اتجاه المتكلم إلى الغرض الذي يقصده من كلامه

٤-القبول وهو كون الكلام يمثل صورة مقبولة لها دلالة محددة

٥- رعاية الموقف أو المقام ، وهذا المعيار يشبه قول البلاغيين: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٦- الإعلامية ويقصد بها أن يكون للنص مضمون يريد المتكلم الإعلام به.

٧- التناص وهو علاقة تكاملية تقوم بين أجزاء النص أو بين النص ونص آخر، مثل: علاقة الجواب بالسؤال، والمتن بالشرح، والغامض بما يوضحه.

وتقدم في المبحث الثاني وهو الذي يقارن بين نحو النص ونحو الجملة عند المحدثين أن هذه المعايير السبعة منها معياران يتفق فيهما نحو الجملة مع نحو النص وهما: معيار السبك أو الربط النحوي اللفظي، ومعيار الحبك أو الاتساق لربط المعني بين لفظين أو جملتين أو عدة ألفاظ أوعدة جمل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعايير الخمسة الباقية تخص نحو النص وحده ولا تعني نحو الجملة في شيء، وإذا تأملنا تلك المعايير نجدها موضع اهتمام لدارسين آخرين من دارسي العربية وليسوا من النحويين، فعلماء البلاغة لهم سهم وافر في دراسة تلك المعايير عندما يبحثون عن قصد المتكلم، وعن طريقة تعبيره، وعن مطابقة كلامه لمقتضى الحال والمقام ، ونقاد الأدب لهم سهم وافر فيها عندما يبحثون علاقة الشكل بالمضمون في النص الشعري أو النثري، وعندما يميزون بين ما يقبل من التعبير ومالا يقبل مع مراعاة قصد الأديب أو الشاعر، وعندما يقارنون بين قصيدة وقصيدة، أو بين بيت وبيت، وعندما يطالبون الشاعر بالوحدة العضوية وهي ترابط أجزاء القصيدة وسيرها في اتجاه واحد فكرا وشعورا ، وبالوحدة الموضوعية وهي اقتصار القصيدة على موضوع واحد أو فكرة واحدة.

وبعض علماء التفسير يجمعون في تفسيرهم بين الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية فيأتي تفسيرهم مجالا خصبا لدراسات قريبة من دراسة نحو النص وهي كفيلة بأن يتتلمذ عليها المهتمون بدراسة هذا النحو من الدارسين المعاصرين.

والله المستعان

والهادي إلى سواء السبيل

***

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،وآله وصحبه ومن والاه

وبعد....

فلما كان الغرض من هذا البحث هو التعريف بنحو النص وبيان ما بينه وبين النحو الأصيل من صلات وملابسات اقتضى ذلك السير في الخطوات الآتية :

_اتجه البحث في المبحث الأول إلى التعريف بنحو النص لغة واصطلاحًا ، وبين أن المراد به في اللغة: القصد إلى الاستقصاء في النص واستخراج ما خفي على السامع أو القارئ منه ، وفي الاصطلاح:العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها ، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكن من فهمها .

_ واتجه في المبحث الثاني إلى المقارنة بين نحو النص ونحو الجملة ببيان الصفات المشتركة بينهما وما يختص به كل واحد منهما من صفات وخصائص .

_ واتجه في المبحث الثالث إلى البحث عن ملامح لنحو النص في تراثنا النحوي من خلال ما كتبه المعاصرون في هذا الموضوع ، وهي ملامح وجدوها عند بعض النحاة ومنهم ابن جني وابن هشام.

_ واتجه في المبحث الرابع إلى بيان بعض مظاهر نحو النص في تراثنا النحوي ، ومنها:

١- الاقتران التتابعي.
٢- اشتراط الرابط النحوي في جمل بعينها.
٣- أسلوب الاقتران الشرطي.
٤- الاقتران التعددي.

وقد تم توضيح هذه المظاهر.

_ واتجه في المبحث الخامس إلى إلقاء نظرات على تطبيق نحو النص بالرجوع إلى رسالة علمية تدور في فلكه مع التركيز على حديث صاحب الرسالة حول وسائل السبك النحوية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

_وأخيرا جاء المبحث السادس بعنوان : حاجة الدارسين إلى نحو النص مبينا وظيفة النحو والنحوي وانتهى إلى أن معايير نحو النص موضع اهتمام لدارسين آخرين من دارسي العربية ليسوا نحويين وهم علماء البلاغة ونقاد الأدب والمفسرون للقرآن الكريم ، مع ملاحظ أن بعض معايير نحو النص لا يمكن تطبيقها على القرآن الكريم كما في معيار التناص إذا قصد به العلاقة بين النص ونص آخر .

هذا وبالله التوفيق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المصادر والمراجع

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

-بناء الجملة العربية د محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة، دار غريب ٢٠٠٣م.

-التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج تأليف كلاوس برينكر-ترجمة د/ سعيد بحيري، القاهرة ، مؤسسة المختار ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

-التماسك النصي في الحديث الشريف د عبد العزيز فتح الله عبد الباري، مكتبة الفلاح بالكويت ، الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

-الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا للدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني.

-الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي بتحقيق: الدكتور / فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى،١٤١٣هـ_ ١٩٩٢م.

-حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، طبعة دار إحياء الكتب العلمية –بدون تاريخ.

-الحذف في المثل العربي لعبد الفتاح الحموز ، ط دار عمار للنشر والتوزيع –عمان ١٩٨٤م.

- الخصائص لابن جني تحقيق:محمد علي النجار، ط ٢بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر.

-دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحيق: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ٢٠٠٠م.

-سلامة اللغة العربية تأليف: عبد العزيز عبد الله محمد ، ط مطابع جامعة الموصل –الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

-شرح الأشموني لألفية ابن مالك بحاشية الصبان ، ط دار إحياء الكتب العربية –بدون تاريخ.

-شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك، تحقيق: عدنان الدوري،ط مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧م.

-شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة.

-شرح القصائد السبع الجاهليات للأنباري أبي بكر محمد بن القاسم، تحقيق: عبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر.

- شعر محمد مهدي الجواهري دراسة نحوية نصية تأليف صالح الشاعر ، ط دار طيبة للنشر ٢٠١٠م.

-عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جني للدكتور عبد الغفار حامد هلال-ط دار الفكر العربي ٢٠٠٦م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-علاقة النحو العربي بنحو النص أ د عبد السلام حامد على صفحة رابطة أدباء الشام.

-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق نماذج من السنة النبوية ، د/ نادية رمضان القاهرة ٢٠٠٤م.

-علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات د. سعيد بحيري –القاهرة-مؤسسة المختار-١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

- عناصر السبك بين القدماء والمحدثين للدكتورة نادية رمضان النجار-مجلة كلية دار العلوم-٢٠٠٥م.

-في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور –مهدي المخزومي منشورات دار الرائد العربي – بيروت ١٩٨٦م.

- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون- دار القلم ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

-لسانيات النص مدخل إلي انسجام الخطاب د.محمد خطابي-بيروت-المركز الثقافي العربي ١٩٩١م.

- اللغة العربية معناها ومبناها د.تمام حسان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

-المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ط دار المعارف –الثالثة ١٩٧٦م.

-مدخل إلي علم لغة النص.د.إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد ، ط٢ القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

-المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، تحقيق: د/محمد كامل بركات-دمشق دار الفكر ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

-معجم الرائد –لجبران مسعود ، ط دار العلم للملايين-بيروت-الثالثة سنة ١٩٧٨م.

-المعجم الوسيط.

-مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: د/مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله-بيروت، دار الفكر ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- المفصل صنعة الإعراب لأبي القاسم الزمخشري – ط أولى دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٩٣م.

-المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة– القاهرة –المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ.

-المقرب لابن عصفور ،تحقيق: أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، ط مطبعة العاني ببغداد.

-منهج ابن هشام في شرح بانت سعاد لمحمود سليمان ياقوت –دار قطري بن الفجاءة بالدوحة.

-النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه د/ يوسف سليمان عليان –منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها مجلد ٧ عدد ١ كانون الثاني ٢٠١١م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، تأليف: أحمد عفيفي –مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م.

-نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب لمصطفى النحاس –منشورات ذات السلاسل بالكويت ٢٠٠١م.

-نحو النص وتطبيقاته على نماذج في النحو العربي لعبد المهدي هاشم الجراح مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية _المجلد ٣٣العدد ١سنة ٢٠٠٦م ، إربد ، الأردن.

-النحو الوافي لعباس حسن –ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٦م.

-نسيج النص للزناد الأزهر-طبعة أولى –الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي١٩٦٣م.

-نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي –ط دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

-النكت الحسان لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي–ط أولى، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م.

-همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٧٩م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢_٧
المبحث الأول: التعريف بنحو النص.	٨_١٣
المبحث الثاني: مقارنة بين نحو النص ونحو الجملة لدى المحدثين.	١٤_١٨
المبحث الثالث: ملامح لنحو النص في تراثنا النحوي.	١٩_٢٢
المبحث الرابع: من مظاهر نحو النص في تراثنا النحوي.	٢٣_٣٢
المبحث الخامس: نظرات في تطبيق نحو النص.	٣٣_٤٠
المبحث السادس: حاجة الدارسين إلى نحو النص.	٤١_٤٤
الخاتمة	٤٥_٤٦
المصادر والمراجع	٤٧_٤٩
فهرس الموضوعات	٥٠